الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون- تيارت-

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم العلوم الاجتماعية

مسار: فلسفة

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر تخصص فكر عربي إسلامي

الموسومة ب:

آليات الإصلاح عند الشيخ محمـــد عبده

إعداد الطالب:

إشـــــــــــــــــــــراف الأستاذ:

غلام يوسف أحمد بوروينـــــــــــة

محمـــد

لجنة المناقشة	
أ.بوعمود أحمد	رئيسا
أ.راتية الحاج	عضوا

أ.بوروينة محمـــد	مشرفا

السنة الجامعية: 2018/2017

شكر وتقدير:

الحمد لله ربي العالمين والشكر لجلاله

سبحانه وتعالى الذي أنار لنا درب العلم

و المعرفة وأعاننا على أداء هذا الواجب

وإنجاز هذا العمل

والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى الذي بذكره تتم الصالحات.

أتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى كل

من ساعدني في إنجاز هذا البحث

وأخص بالذكر أستاذي : بوروينة محمـــد الذي لم يبخل علي بتوجيهاته و

نصائحه القيمة التي كانت عونا لي في إتمام هذا البحث

و الشكر كذلك إلى كل من ساعدني أيضا طوال المشوار الدراسي

وكل من مدوا لي يد العون والمساعدة

في إخراج هذه الدراسة علي أكمل وجه.

إهداء

إلى من جرع

الكأس فارغا ليسقيني قطرة حب

إلى من كلت أنامله ليقدم لنا لحظة سعيدة

إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم

إلى القلب الكبير " والدي العزيز "

و إلى من أرضعتني الحب والحنان

إلى رمز الحب والعطف وبلسم الشفاء

إلى القلب الصافي " والدتي الحبيبية "

و إلى القلوب الطاهرة الرقيقة والسند في هذه الحياة " إخوتي "

و إلى الروح التي سكنت روحي

و إلى الإخوة الذين أحببتهم وأحبوني الذين يضيئون

لنا قنديل الذكريات المظلمة

"بن عمارة نور الدين، عابد عبد الإله وعسال علي.

مقدمة

مر العالم الإسلامي والعالم العربي بأزمات كثيرة عبر تاريخيه مست جميع المجالات الحياتية الاقتصادية والسياسية والفكرية والتربوية والثقافية،جعلته يتأخر عن مواكبة التطور في مختلف الميادين والأصعدة والمجالات، وظل الحال هكذا مدة قرون كثيرة، وعانى المجتمع العربي والإسلام الجمود الفكري والتقليد الأعمى والابتعاد عن الدين الإسلامي وافتنان الشعوب العربية بالثقافات الغربية وسعيهم في تقليدها دون النظر للآثار التي تترتب عنها، وتغلغل الأفكار الهدامة والأحزاب التي تبنت المناهج الغربية المنافية لتعاليم الدين والشريعة الإسلامية، وتم ذلك من خلال دعم أعداء الإسلام وغفلة العلماء والفقهاء،و الجهل الذي عم على أبناء المجتمع الواحد وانطفاء نور الإيمان في قلوب المسلمين بسبب ظهور الطوائف والفرق وحملات التشكيك في العقيدة الإسلامية، وإقصاء الشريعة الإسلامية من الحكم وإبعادها عن الواقع كما عانى المجتمع الإسلامي والعربي من الشخصيات القيادية والحاكمة التي كان لها دور هام في المجتمع وقيام هذه الشخصيات بالانصياع لأوامر المستعمر وقيامها بتنفيذ مخططاتها ومن هذه الأحوال نبع داخل المجتمع العربي والإسلامي مجموعة من الإصلاحيين الذين لم يرضوا بحال شعوبهم، ومدركين لهذا الخطر، ا جعلهم يفكرون في أسباب الانحطاط، ونذكر هنا المجتمع المصري الذي مرّ بظروف تاريخية صعبة منها الاستعمار الانجليزي والفرنسي وهذا من أبرز أسباب التخلف، مما ترك آثار سلبية على الصعيد المادي والمعنوي للشعب المصري، وفي كل زمان ومكان إلا ويظهر رجال أكفّاء يحملون على عاتقهم لواء الإصلاح ومحاولة أخراجهم لمجتمعاتهم من ظلمات السبات الطويل، آملين في ذلك تطلع إلى غد ومستقبل أفضل.

ومن أبرز رجال مصر الذين قدموا كل جهودهم من أجل القيام بالمجتمع المصري نذكر : عبد الرحمان الكواكبي، رفاعة الطهطاوي، جمال الدين الأفغاني، محمود سامي البارودي، عبد الله النديم، محمـــد عبده، والشيخ الإمام محمـــد عبده كان موضوع بحثي هذا، حيث كان موضوع دراستي في أهم المجالات والمبادئ والقضايا التي عالجها والتي تعتبر من المؤثرات في الحركة الإصلاحية داخل مصر وخارجها، والمحاولة المستمرة من أجل الارتقاء بالمؤسسات الإسلامية والتعليمية وسعيه الدائم للإصلاح والتطوير في جامع الأزهر والمحاكم الشرعية.

فالشيخ الإمام كانت معاناته كما عانى أبناء شعبه ومجتمعه المصري، في عهد الخديوي إسماعيل وذلك راجع إلى الديون التي كانت تتخبط فيها مصر وسوء الأحوال الدينية والاجتماعية، مما سمح للاستعمار بالدخول إلى مصر والتدخل في شؤون الدولة وتسييرها، وعانى الشعب المصري خلال هذا خاصة بعد وقوع الحكم في يد الجيش الشركسي، مما صعب على الفرد والمواطن المصري من التصدي للاستعمار الأجنبي ومواكبة التطور والنهضة الغربية، وكان سبب ذلك طغيان الحكام والاستبداد الذي طال أبناء المجتمع المصري، ومن هنا برزت أبرز الحركات الإصلاحية التي كان هدفها النهوض بالأمة وتخليصها من التقليد القديم والوعي والفكر والارتقاء، ولكن كانت هناك اختلافات في سبيل الوصول إلى هذا الهدف المنشود، فمنهم من رأى أن إصلاح السياسية هو سبيل التقدم والتطور ومنهم من رأى أن إصلاح الجانب الديني والتربوي هو السبيل للخلاص، ومن أبرز الاتجاهات الإصلاحية هو الذي كان بقيادة محمـــد عبده، والذي كان له رأيه الخاص بالنهوض بالأمة المصرية خاصة والعربية الإسلامية عامة، وذلك عن طريق التربية والدين بدلا من الثورة والسلاح والمقاومة، وعلى الشعب أن يكون مثقفا واطلاعه على الحقيقة التي يعيش فيها.

كان اختياري لدراسة الشيخ الإمام محمـــد عبده بسبب الدور الهام والبارز الذي لعبه في الحركة الإصلاحية ومحاولة النهوض بالفكر العربي ومواكبة العصر الغربي، وحاولت في بحثي هذا الوقوف عند كل مبدأ أو منهج أشار إليه أو تطرق إليه الإمام محمـــد عبده، ذلك منذ ولادته في عام 1266ه/ 1849م إلى حين وافته المنية سنة 1905م، فهو منذ صغره عرف النضال والاجتهاد والإصلاح.فهو بذل جهدا كبيرا من أجل تحقيق التطور والإصلاح على الرغم من تعرضه للسجن والنفي.

من خلال دراسة سيرة الشيخ الإمام جد أن للشيخ مواقف وآراء ومبادئ على أهم مستويات قيام الأمة وهي الجانب التربوي والديني والاجتماعي ومحاولة لترسيخ ما جاء في الدين الإسلامي وما يوافق الشريعة السلامية والعصر الذي ومواكبة العصر الذي يعيش فيه.

ومن أبرز أسباب اختياري لموضوع المشروع الإصلاحي للشيخ الإمام محمـــد عبده ما يلي:

1- الميل للفكر العربي الإسلامي ودراسة أهم أعلامه والتي كان لها درر كبير في الحركة الإصلاحية عبر تاريخها.

2- التعرف على شخصية الشيخ الإمام محمـــد عبده والتعريف بأبرز مبادئها والقضايا التي تطرق إليها.

3- أهمية الموضوع نظرا لما يمسه من قضايا المجتمع المهمة اجتماعية تربوية كانت أو دينية داخل المجتمع المصري أو المجتمع العربي الإسلامي عموما.

4- تسليط الضوء على فكر الإمام وأهم المبادئ والأساليب التي انتهجها في حركته الإصلاحية داخل مصر وخارجها.

تمثلت إشكالية موضوعنا هذا في دراسة لعلم من أعلام الحركة الإصلاحية في العلم العربي الإسلامي، والدعوة إلى التخلي عن التقليد والبدع والخرافات والدعوة أيضا إلى فتح باب الاجتهاد والتجديد والخروج بالعلل التي أصبت المجتمع ومحاولة لمعالجتها والتركيز على أهم جوانب الحياتية وركائزها الدينية والتربوية وغي هذا السياق تم طرح الإشكالية التالية:

كيف كان دور الإمام محمـــد عبده في الحركة الإصلاحي ؟ وما مدى مساهمة مشروعه الإصلاحي في قيام المجتمع المصري والعربي الإسلامي ؟ وما أبرز النقاط والاتجاهات والمسالك التي ركز عليها الشيخ في مشروعه الإصلاحي ؟

أهمية الدراسة:

1- التطرق إلى أحد أعلام الفكر العربي الإسلامي وأحد رواد الحركة الإصلاحية عبر التاريخ العربي.

2- مدى التأثير الكبير والممتد للشيخ محمـــد عبده الذي جعل منه موضوعا لحقل الدراسات وتنوع الميادين الفكرية والدينية والفلسفية والتربوية والإصلاحية في مشروعه الإصلاحي.

3- إثراء الرصيد المعرفي والتطلع على أهم قضايا المجتمع العربي الإسلامي التي كان ومازال يعاني منها.

وكانت الخطة المعتمدة في هذا البحث كالتالي:

تقسيم البحث إلى مقدمة ملمة بالموضوع وثلاثة فصول كل فصل احتوى على مبحثين وكل مبحث احتوى علو مجموعة من العناصر، فالفصل الأول كان معنون بكرونولوجيا المفاهيم والسياق التاريخي للإصلاح واحتوى على مبحثين ، المبحث الأول كان تحت عنوان مفهوم الإصلاح، والمبحث الثاني تحت عنوان مشارب محمـــد عبده الفكرية والإصلاحية.

أما الفصل الثاني كان بعنوان المشروع الإصلاحي عند الشيخ محمـــد عبده واشتمل كذلك على مبحثين، الأول كان بعنوان: الإصلاح الديني والتربوي عند الشيخ محمـــد عبده، أما المبحث الثاني كان تحت عنوان الإصلاح السياسي للشيخ محمـــد عبده.

أما الفصل الثالث والأخير كان تحت عنوان: قراءات تحليلية لمشروع محمـــد عبده واشتمل أيضا على مبحثين: الأول بعنوان: دراسة نقدية في مشروع محمـــد عبده والمبحث الثاني تحت عنوان مشروع الإمام في ميزان التقييم وفي الأخير خاتمة.

المنهج المتبع في الدراسة:

المنهج التاريخي وذلك بحكم ذكرنا للسياق التاريخي للإصلاح والحركة الإصلاحية والوقائع والأحداث وتصنيفها.

والمنهج التحليلي من أجل تحليل خصائص المشروع الإصلاحي للشيخ الإمام محمـــد عبده والمنهج النقدي لنقد أهم النقاط عند الإمام محمـــد عبده.

صعوبة الدراسة:

لا يخلو أي مجال للدراسة أو بحث أكاديمي أو علمي من الصعوبات والعوائق التي تصعب من مهمة الطالب في بحثه ومن بين أبرز الصعوبات:

* قلة الخبرة وضيق الوقت وجمع المعلومات والمادة العلمية وترتيبها .

* صعوبة التنسيق والربط بين المصادر والمراجع والتي احتوت على معلومات متشابهة ومتداخلة فيما بينها مما صعب عملية التنسيق بينها.

وفي ختام بحثي هذا أرجو أن أكون قد وفقت في هذا العمل الذي كان هدفه التطرق إلى أحد أبرز رواد الإصلاح والحركة الإصلاحية في المجتمع المصري والعالم العربي والإسلامي، وذكر أهم النقاط والمبادئ التي تطرق لها خلال مسيرته الإصلاحية، كما أتمنى أن يكون بحثي هذا عونا وسندا لأي طالب يحاول التطرق فيه لموضوع الإمام محمـــد عبده وفكره الإصلاحي، والتوفيق أقصى ما يتمناه الواحد منا، خاصة بعد التعب والجهد الذي صاحب هذا العمل، وإن كان العكس فلا حرج في هذا لأن البحث العلمي أو الأكاديمي لا يخلو من النقص والخطأ أو السهو في أي ناحية من النواحي.

في الأخير أتوجه بالشكر الخالص لأستاذي المشرف بورويبة محمـــد على رحابة صدره وصبره،الذي كان لي سندا في هذا البحث، ولن أنسى فضله وفضل كل من قدم يد العون في إنجاز هذه المذكرة، والحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول

كرونولوجيا المفاهيم و السياق التاريخي للإصلاح

I– المبحث الأول: مفهوم الإصلاح

1- مفهوم الإصلاح.

2- مفهوم الحركة الإصلاحية وأبرز مفاهيمها.

3- أسباب الحركة الإصلاحية وعواملها.

4- الإرهاصات الأولى للإصلاح محمـــد بن عبد الوهاب نموذجا.

II - المبحث الثاني: مشارب محمـــد عبده الفكرية والإصلاحية.

1- الإصلاح في فكر رفاعة رافع الطهطاوي (1801 – 1873).

2- الإصلاح في فكر جمال الدين الأفغاني (1838 – 1897).

3- الإصلاح في فكر عبد الرحمن الكواكبي (1855- 1902).

I - المبحث الأول: مفهوم الإصلاح:

1-مفهوم الإصلاح:

أ- الإصلاح لغة:

يعرف الإصلاح لغة بأنه لفظ مشتق من الفعل صلح يصلح إصلاحا والإصلاح ضد الفساد[1].

وجاء في القرآن الكريم على أنه محاولة للموافقة بين الناس على اختلاف أجناسهم وأعراقهم وهو استقامة الحال التي يكون عليها الفرد والمجتمع وجاءت كلمة الإصلاح أو الصلح في القرآن الكريم في أكثر من موضع وآية لقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا** ﴾[2].

كما يعرف على أنه إزالة الفساد بين الأقوام والأجناس من الناحية اللغوية، وهو الترحال أو الانتقال من حالة إلى أحسن حالة وهو ترك الشيء والتخلي عنه واستبداله بسواه. كقوله تعالى على لسان سيدنا شعيب اثر قيامه بواجب النصح والتذكير لقومه:﴿**قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾[3].

ونجد أن موسوعة كشاف إصلاحات الفنون والعلم تعرف الإصلاح بأنه فعل مشتق من الصلح بالصم وسكون اللام، وفي اللغة العربية لاسم المصالحة خلاف المخاصمة،و الإصلاح مأخوذ من الصلاح والاستقامة، ويقال صلح الشيء أي زال عنه الفساد[4].والإصلاح هنا يأخذ معنى الاستقامة والمصالحة ويكون مناقضا للفساد والمخاصمة. ويعرف قاموس أكسفورد الإصلاح Refresling على أنه تقويم وتعديل وتهذيب، وReformation تعني إعادة التكوين أو التكون، وImprovement تعني إصلاح،حسين، تحسن[5]، أو إصلاح الشيء الفاسد وإعادة تكوينه حتى يصبح قابلا للاستعمال.

---

[1] ابن منظور: لسان العرب،ج7، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1999،ص382.

[2] سورة الأحزاب، الآية 71.

[3] سورة هود، الآية 88.

[4] محمد علي التهناوي: موسوعة كشاف إصلاحات الفنون والعلوم،تقديم رفيق العجم، مكتبة لبنان، ط1، ج2، 1996، ص – ص 1094 – 1095.

[5] N.S DonichThe Oxford. English-Arabic Dictionary-1972, P1047

ب - الإصلاح اصطلاحا:

وقد رأينا الكثير من الآيات القرآنية تعبر عن الإصلاح واتخذها الاصلاحيون شعارا يحتذى به في حركاتهم الإصلاحية كقوله تعالى: ﴿ **وِلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا** ﴾[1]، وقوله: ﴿ **وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذَرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾.[2]هذه الآيات القرآنية تدل على أن الله تعالى حث عباده على الإصلاح بجميع أنواعه ووعد عباده بالثواب على كل من يقوم بهذا العمل النبيل.

ونعني به كذلك التعديل والتطوير الغير الجذري في شكل الحكم أو العلاقات الاجتماعية دون المساس بأساسها. ويعرف أيضا بالتبديل والتحول نحو الأحسن خاصة في المجالات المنقوصة كالمؤسسات الحكومية والسياسية المعروفة بقضايا الفساد وهو مخالف للثورة وهو ليس إلا تحسين النظام السياسي والاجتماعي و لهذا ربط الله في الكثير من الآيات ذكر الإصلاح، فالإصلاح شامل وعادل لقوله تعالى: ﴿ **إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَاعْتَصَمُواْ بِاللّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلّهِ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾.[3]

وقد عرف الشيخ مبارك الميلي*الإصلاح بقوله: نبذ الفساد من العقائد والعوائد والإرشاد لما هو صالح ليؤخذ وغايته هنا ترقية المجتمع في الدنيا والآخرة، فالإصلاح من منطلق التفكير هو الجهد المبذول في انتقاء ما هو صالح.

من الناحية الاصطلاحية يعرف الإصلاح بأنه من المفاهيم المرتبطة بالإسلام، إذ تعد كلمة الإصلاح من أهم ما احتوته الحضارة الإسلامية على مدار تاريخها، بدليل أن القرآن قد ساهم في نشر فكرة الإصلاح[4].

---

[1] سورة الأعراف، الآية 56.

[2] سورة الأنعام،الآية 48.

[3] سورة النساء: الآية 146

*مبارك الميلي: من مواليد قرية سيدي مبارك بالميلية في /25/ 05 1898 ،يعتبر من طلبة الشيخ عبد الحميد ابن باديس، في قسنطينة ، دعا إلى تأسيس مدرسة الشبيبة توفي في 9 فيفري 1954. م ينظر محمد الحسن فضلاء : من أعلام الإصلاح في الجزائر، الجزء الثاني، دار هومة، الجزائر، 1998 ،ص - ص 24 - 26.

[4] عبد الكريم بوصفصاف : الفكر العربي المعاصر، محمد عبده وعبد الحميد بن باديس نموذجا،ج1، دار مداد يونيفارسيتي، قسنطينة، 2009، ص 271.

ج - مفهوم الإصلاح عند محمـــد عبده:

عتبر كل من جمال الدين الأفغاني ومحمـــد عبده من الأوائل الذين قاموا بإدخال فكرة الإصلاح إلى دول المشرق العربي خصوصا والعلم العربي عموما.

استنبط الشيخ محمـــد عبده مفهوم الإصلاح من القرآن الكريم كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ** ﴾[1]. فالإصلاح عند الشيخ محمـــد عبده يعني محاولة تغيير جذري لواقع العالم الإسلامي بالتركيز على الفرد بالدرجة الأولى باعتباره كائن حي فعال في مجتمعه،و بصلاح الفرد يصلح المجتمع،و الإصلاح عنده يتم عن طريق التربية وإصلاح المنظومة الفكرية لدى الفرد، وعبر عن دلك من خلال ثلاث أهداف رئيسية وهي على النحو التالي:

1- تحرير الفكر الإنساني من قيد التقليد وفتح باب الاجتهاد، ولكذا فهم الدين على الطريقة التي جاء بها السلف الصالح مع الاعتماد على الكتاب والسنة.

ونادى إلى ضرورة إعمال العقل وتوظيفه في مسائل الدين مع الاستفادة من ثمار الحضارة الأوروبية.

2- إصلاح أساليب اللغة العربية في التحرير، فمن الواجب إصلاح أساليب اللغة العربية وذلك بتخطي وتجاوز عصر الركاكة والانحطاط الذي عرفته الكتابات العربية والتي طغي عليها الأسلوب الرديء والمحسنات البديعية من سجع واستعارات وجناس[2].

2- تعريف الحركة الإصلاحية وأبرز مفاهيمها:

الحركة الإصلاحية هي لفظ تعني كل مبدأ تعتنقه جماعة وتتساند لنصرته وتعمل على نشره والدعاية والعمل له عن عقيدة ، كما تقوم بوضع نظام محدد له وفق خطة مرسومة، وغاية مقصودة[3].

أبرز مفاهيم الحركة الإصلاحية:

أ/النهضة: إن كلمة نهضة من المصطلحات الجديد في اللغة العربية، وقد صيغت من مادة (ن- ه- ض)، وتعني لغويا ميلاد جديد الذي لم يظهر في اللغة الفرنسية إلا بعد القرن 19، وقد صيغ بعديا للتعبير عن شيء قد كان عن دافع تاريخي محدد المعالم والصفات، كامل الوجود والمقومات[1].

[1] سورة الرعد: الآية 11.

[2] محمد حمدي زقزوق: موسوعة اسلامية عامة،المطابع التجارية، القاهرة، 2003، ص 159.

[3] جمعية العلماء المسلمين، سجل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ص46 .

فالنهضة بمفهومها الخاص هي إحياء للتراث القديم وبمعناها الواسع فهي عبارة عن ذلك التطور القديم وما صاحبه ذلك من تغيير في أسس الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية ومصطلح النهضة يطلق على فترة الانتقال من العصور الوسطى إلى العصر الحديثة.

ب/الأصالة: الأصالة والمعاصرة تطرح نفسها على الفكر العربي الحديث والمعاصر على أنها القضية الأساسية في إشكالياته، والقضية الأكثر التصاقا بمقوماته ومضمونه بأدوات وأساليب عمله[2].

الأصالة لغة:

هي (أصل) أصالة الرأي، جودته، أصالة الشخص، حسبه الجيد[3].

وأصل منشأ الشيء وبدايته، وقد يكون سببا له ومبدأ عام.فهو بدية أو منشأ أو مبدأ بحسب سياق العبارة. أصالة ومصداقية[4].

اصطلاحا :

يرى مارتن هايدغر أن الأصالة هي الأفكار والعواطف الصادرة حقا عن صاحبها فكل من كان تفكيره صدى للبيئة، أو الرأي العام، وكلامه غبر صادر عن ذاته وغير متصل بالواقع، لم يكن أصيلا[5].

يعني أن مارتن هايدغر يمد لنا معنى الأصالة وذلك عن طريق الأفكار التي تخرج من صاحبها ويجب أن تكون ذات علاقة بالعواطف والواقع الذي يعيشه يؤثر فيه ويتأثر به، فهنا تبرز لنا أصالة الإنسان، والأصالة أن يكون الشخص متميزا عن بقية أفراد المجتمع وأن تكون صفاته منفردة تختلف عن غيره ويظهر هذا التميز من خلا الواقع الذي يعيشه فمثلا طريقة كلامه وأسلوبه في الحوار مع الغير، إضافة إلى ذلك طريقة عمله الخاصة.

---

[1] محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر، دراسة تحليلية نقدية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،لبنان، د ط، د ت،ص 22.

[2] محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر،المرجع السابق، ص 38 .

[3] يوسف محمد البقاعي، قاموس الطلاب عربي عربي، مراجعة وتدقيق شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، المادة أصدأ، 2001،ص 60.

[4] عبده الحلو، معجم المصطلحات الفلسفية فرنسي – عربي، المركز التربوي للبحوث والإنماء، مكتبة لبنان، ط1، 1994، ص 13.

[5] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، لبنان، بيروت، 1982، ص ص 95، 96 .

ج/ المعاصرة :

العَصْرُ والعصْرُ والعُصْرُ والعُصُرُ : الدهْرُ، قال الله تعالى : ﴿ **وَالْعَصْرِ إِنّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ** ﴾[1]، قال الفراء: العَصْرُ الدهْرُ، أقسم الله تعالى به. وقال ابن عَباس: العصر ما يلي المغرب من النهار، وقال امرؤ القيس في العُصُر: وهل يَعمَنْ مَنْ كان في العُصُر الخالي والجمع : أَعْصُرُ. وأَعْصَار وعَصْر وعُصُور، والعصرآن : الليلُ والنهار[2].

عصرانية: ميل مفرط إلى تفضيل الأشياء الحديثة[3].

ومعاصرة اسم مصدر عاصر : معايشة الحاضر بالوجدان والسلوك والإفادة من كل منجزاته العلمية والفكرية، وتسخيرها لخدمة الإنسان ورقيه[4].

ب - اصطلاحا:

المعاصرة: هي كلمة نابعة في الوقت ذاته من كلمة الأصالة وعموما فلا ينبغي أن تحمل كلمة الأصالة جمودا لم تبنى عليه بقدر اعتمادها بشكل أساسي على التطوير الذي يساير متطلبات العصر. في اتساق المنهج الإسلامي والعقيدة، ويتعايش مع أعراف وتقاليد الأجداد والسلف، ولهذا المعاصرة نابعة من الأصالة[5].

يرى زكي نجيب محمود أنه لا يمكن أن نفصل بين مسألة التراث وإشكالية الأصالة والمعاصرة ككل، فرؤيته للتراث تعتبر إجابة لبعض الإشكاليات والقضايا التي تخص العقل العربي بما فيها مشكلة الأصالة والمعاصرة[6]. فالمعاصرة مطلب حضاري، بوصفها ضرورة الوجود والفاعلية والشهود في الحياة الراهنة. وهي عامل توازن يمنع المجتمع من التحول إلى ورقة في مهب الريح .. فالمعاصرة حيوية دائمة

---

[1] سورة العصر، الآية 2.

[2] ابن منظور، لسان العرب، المادة: عصع، 2968.

[3] عبده الحلو، معجم المصطلحات الفلسفية فرنسي – عربي، المرجع السابق، ص 136.

[4] آخر زيارة للموقع 3-https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%B5%D8%B1%D8%A9/ 2018/03/17 بتوقيت 00:30.

[5] منتديات ومجالس أهدلي كوم.

[6] زكي نجيب محمود: تجديد الفكر العربي، دار الشروق، بيروت، لبنان، 1981، ص 18 .

للتفاعل المستمر مع الواقع .. وإن التقدم والرقي لا يأتيان من فراغ، وإنما يعتمدان على قيم وتاريخ، وينطلقان بهذه القيم والنماذج من أجل التقدم والتطور.

ومن خلال التعريفات السابقة اللغوية والاصطلاحية يمكن القول أن المعاصرة والأصالة يرتبطان ببعضهما البعض ارتباطا كبيرا ولابد من هذه الأخيرة أن تساير وتواكب التطور الذي نعيشه في وقتنا الحضر وأن تتماشى كذلك مع العقيدة والقيم والعادات والتقاليد وكل شيء له علاقة بالتراث .

د/ التجديد: جاء في لسان العرب: الجدة هي نقيض البلى،و يقال شيء جديد، وتجديد الشيء صار جديدا وهو نقيض الخلق، وجد الثوب يجد (بالكسر) صار جديدا، والتجديد ما لا عهد به[1].

ويعني التجديد إعادة ترميم الشيء البالي، وليس خلق شيء لم يكن موجودا وبهذا المعنى فان التجديد في مجال الفكر أو في مجال الأشياء على حد سواء هو أن الفكرة أو الشيء الذي بلى أو قدم أو تراكمت عليه من السمات ومظاهر طمس جوهره، وأن تعيده إلى حالته الأولى يوم كان أول مرة، فتجدد الشيء صار جديدا وكذلك الفكر[2].

والتجديد يعني جدد الشيء صار جديدا، والتجديد إنشاء شيء جديد أو تبديل شيء قديم وما هو مادي كتجديد الملبس والمسكن، أو معنوي كتجديد مناهج التفكير وطرق التعليم ويغلب على التجديد أن يكون مذموما في المجتمعات المحافظة شديدة التمسك بتقاليدها[3].

فالتجديد مظهر من مظاهر نزوع الإنسان نحو الأفضل، وميل للتخلص من الركود والسعي نحو إنتاج الجديد والتطوير والتجديد في شتى مجالات الحياة، سواء اجتماعية أو دينية أو ثقافية كانت. وقد عمل المفكرون والمجددون في ديننا الإسلامي أمثال محمـــد عبده وجمال الدين الأفغاني على الدعوة إلى التجديد ولكن بدون المس أو أن يمس التجديد في الفكر الإسلامي العقيدة الدينية والشرائع فهي وحي من عند الله تعالى التي أنزلت على سيد الخلق محمـــد (ص) وإنما أن يواكب التجديد العصر والتطور وكل ما يخدم المجتمع ويكون في مصلحته.

ذ/ التقليد:

---

[1] ابن منظور: لسان العرب،ج1، طبعة دار المعرفة، مصر، د ت ص ص 562 – 562 .

[2] برهان غيلون: الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطا، ط1، 1991، ص 72 .

[3] جميل صليبا: بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية،ج1، دار الكتاب اللبناني،لبنان، بيروت، 1982، ص242.

تقليد نقله السلف: ما يتوارثه الإنسان من عادات وعقائد وممارسات وأساليب السلوك الحضاري ومظاهره العامة، يحاول تقليد الآخرين: السير على منوالهم[1].

التقليد ضد الاجتهاد فهو يعطل ملكة الإنسان الفطرية " العقل " التي يستعين بها على ترتيب محصول الحواس وإدراك ما وراء المعاني المجردة[2]. إن اعتمادنا على التقليد يعطل لنا المصدر الأول للتفكير وهو العقل ويتركنا في ركود وعدم وصولنا إلى إدراك الحقيقة وما هو موجود وراء الأشياء والمعاني المجردة، فالتقليد عبارة عن إتباع الإنسان غيره فيما يقول أو يفعل، من غير أن يعتمد أو ينظر أو يتأمل في الأدلة.

3- أسباب الحركة الإصلاحية وعواملها:

1- الأسباب السياسية:

رافقت نشأة محمـــد عبده سوء الأوضاع في مصر وعاصر تفتحه تدهورها،فقد أثقل إسماعيل (1863 – 1879) كاهل الدولة بالديون من بنوك أوروبا ودولها، وقد أثقلها ليترف نفسه بمظاهر العظمة الكاذبة، وليوهم شعبه وليوهم شعبه بالعلو والتقدم ويخدع أوروبا حقيقة أمره وشعبه، فأثقلها وعجز عن سداد الديون،ففتح بذلك ثغرة واسعة لأوروبا المتربصة لتحقق من خلالها أحلامها في السيطرة على مصر .

فبدأ التدخل الأجنبي بأن طلب إسماعيل من بريطانيا عام 1875 أن ترسل مندوبا كفءاً ليدرس الحلة المالية في مصر كي يستطيع الحصول على قرض جديد منها بعد أن وجد فرنسا عاجزة عن إدانته إثر حرب السبعين، وظن أن بإمكانه التظليل بالبذخ والترف عن حقيقة الأوضاع الاقتصادية.لكن البعثة أشارت في تقريرها إلى سوء الحالة المالية المصرية، واقترحت أن تخضع للمنشورة الأوروبية بأن تنشئ الحكومة مصلحة للرقابة على ماليتها برئاسة شخص موثوق، أشارت تلميحا بأن يون بريطانيا[3].

كان المجتمع المصري – خلال هذه الحوادث السياسية فقيراً، معدما، ترهقه الضرائب والتي يفرضها عليه الحكام، جاهلا بحقوقه وواجباته، ساذجا،مستبعدا عن أي استبعاد،تسوده الخرافة وتمتطيه

---

[1] https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%A8%AF/ 19.43 بتوقيت 2018/03/19 آخر زيارة للموقع

[2] مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار القباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، د ت، ص 207 .

[3] غازي التوبة: الفكر الإسلامي المعاصر، دراسة وتقويم،ط4، 2004،ص18.

الأوهام، ليس له من جوهر الدين نصيب، وهذه بعض خيوط الصورة السياسية والاجتماع والاقتصاد والدين[1].

أ - ويعتبر سقوط الدولة العثمانية في القرن التاسع عاشر ميلادي بداية انحطاط الدولة العثمانية ولقد شهدت الدولة العثمانية آنذاك فساد طغى على كل الجوانب الحياتية، مما أدى إلى ضعف قوة الجيش الإنكشاري الذي كان مصدر قوتها وفساد الإدارة والجانب التعليمي، إذ تراجع الإبداع الفلسفي وتوقف الاجتهاد الفقهي وانحطاط الأدب في جميع فروعه، بالإضافة إلى انحطاط الزراعة وتقلص مساحتها في جميع البلدان العربية[2].

ب- زيادة تدخل الدول الأجنبية في شؤون الدول العربية: أي أن هذا التخلف الذي وقعت فيه المجتمعات العربية سهل على الدول الأوروبية زيادة التدخل في شؤونها بعد أن بدأت ضعيفة وهزيلة أمامها فكان لابد لها أن تخضع في أنظمتها لأوروبا[3].وبما أن العالم العربي كان قد فقد كل ممتلكاته فكان لابد له من أن يستعين بالدول الغربية التي كانت عرفت تطورا، لكن الدول الأوروبية استغلت الوضع لصالحها.

ج- الاحتلال الأوروبي للدول العربية الإسلامية:[4]

بعض ضعف العام العربي والإسلامي فتحت الأبواب أمام أوروبا لاستلاب ممتلكاتها ونهب خيراتها كونه كان عاجز عن حماية تلك الممتلكات، هذا ما أدى إلى انتشار الاستعمار الأوروبي في معظم دول العالم العربي والإسلامي كالغزو الإنجليزي لمصر.

يرى الكواكبي أنه من الأسباب السياسية للحركة الإصلاحية أيضا:

1- السياسة المطلقة من السيطرة والمسؤولية.

2- فقدان العدل والتساوي في الحقوق بين طبقات الأمة.

3- تفرق الأمة إلى عصبات وأحزاب سياسية.

4- حرمان الأمة من الحرية والعدل والعمل وفقدانها الأمن.

---

[1] غازي التوبة: الفكر الإسلامي المعاصر، المرجع نفسه، ص 19 .

[2] أحمد برقاوي: محاولة في قراءة عصر النهضة، الأهلية للطباعة والنشر، ط2، 1999، ص – ص 23 – 24.

[3] بلال نعيم: الفكر الإسلامي بين النهضة والتجديد، دار الهادي، بيروت، ط1، 2004، ص 23.

[4] بلال نعيم: الفكر الإسلامي بين النهضة والتجديد، المرجع نفسه، ص 23.

5- حماقة أكثر الأمراء وتمسكهم بالسياسات الخرقاء، وإصرارهم على الاستبداد عناداً واستكباراً، وانغماسهم في الترف ودواعي الشهوات وبعدهم عن المفاخرة بغير الفخفخة والمال.

2

- أسباب أخلاقية وتربوية:

1- الاستغراق في الجهل والارتياح إليه.

2- انحلال الرابطة الدينية الاحتسابية.

3- التباعد في المكاشفات والمفاوضات في الشؤون العامة.

4- فقدان التناصح وترك البغض في الله[1].

كانت الأسباب تعددت بين سياسية وتربوية، فالسياسة المطلقة والسلطة للحكام العرب وفقدان العدل بين أفراد المجتمع كان من أهم العوامل الأساسية في تخلف العالم العربي والإسلامي خاصة.

كانت الدعوات والحركات الإصلاحية ترى أن سبب تخلف العرب والمسلمين وضياع مجدهم، هو ابتعادهم عن نقاوة دينهم وشيوع البدع والضلالات التي دخلت على معتقداتهم ومن تلك الأسباب نذكر مايلي:

3- أسباب دينية:

تناول الكواكبي انحطاط المجتمع الإسلامي وأرجعه إلى الأسباب التالية :

1- تأثير عقيدة الجبر على أفكار الأمة.

2- تأثر فن الجدل في العقائد الدينية.

3- إفساد الدين بتفنن المداجين بمزيدات ومتروكات وتأويلات.

[1] علي المحافظة: الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، 1798- 1914 دار الأهلية،بيروت،د ط ،1987،ص 164.

4- التعصب للمذاهب وأراء المتأخرين وهجر النصوص ومسلك السلف.

5- تشويه أفكار الأمة بكثرة تخالف الآراء في فروع أحكام الدين[1].

يرى الكواكبي أن السبب الأول في انحطاط المجتمع العربي هو راجع لأسباب دينية في المقام الأول بسبب الابتداع الذي وقع داخل المجتمع العربي والإسلامي خاصة وانتشار البدع والخرافات الدينية في نفوس المسلمين وإهمالهم للدين ولمناهج السلف الصالح الأمر الذي أدى بهم إلى الانحطاط والتخلف. فرغم أن العادات والتقاليد لها أهميّة في الكتب السماويّة إلا أنها تحدّ من التطوّر والإبداع الفكري المتجدّد العصري.

4- الإرهاصات الأولى للإصلاح " محمـــد بن عبد الوهاب نموذجا ":

كانت الدعوة الوهابية أول رد فعل ديني على مفاسد المجتمع العربي في العصور الحديثة، وتنسب إلى الشيخ محمـــد بن عبد الوهاب من بني تميم، ولد في قرية العيينة في نجد عام 1115ه / 1703م. وتعلم دروسه الأولى بها.ثم انتقل إلى المدينة المنورة فتتلمذ على شيوخها. وأقام مدة في البصرة وبغداد، و لم يتمكن من زيارة بلاد الشام، فعاد إلى بلده العيينة، وخرج منها يدعوا الناس إلى أفكاره الجديدة.

وقد درس ابن عبد الوهاب كتب ابن تيمية وابن جوزية في الإصلاح، فتأثر بهما كثيرا واستشهد بهما وبالإمام أحمد بن حنبل في معظم رسائله وفتاويه[2].

إن دعوة محمـــد بن عبد الوهاب الإصلاحية تعد في تاريخنا الإسلامي الحديث- أبرز دعوة كان لها أعظم المعطيات والآثار في عالمنا الإسلامي حتى الوقت الحاضر، ومع كثرة الكتب والمؤلفات عن هذه الدعوة وصاحبها الشيخ محمـــد بن عبد الوهاب[3]، فكانت الدعوة الوهابية أو محمـــد بن عبد الوهاب أولى إرهاصات في العالم العربي والإسلامي خاصة على مظاهر الضعف والفساد الذي طالت المجتمع في ذلك الوقت وإننا في مطلبنا هذا سنتناول أهم الجوانب والمبادئ لهذه الدعوة وسنركز على أهم الأوضاع التي كانت سائدة قبل محمـــد بن عبد الوهاب وحتى عصرنته لتلك الأوضاع والإصلاحات التي قم بها على أهم جوانب الحياة المختلفة.

1-حال العالم الإسلامي في عصر محمـــد بن عبد الوهاب:

[1] علي المحافظة: الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، المرجع السابق، ص 165.

[2] علي المحافظة: المرجع نفسه،ص 39 .

[3] محمـــد السمان: رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مكتبة المعلا، ط1، 1988، ص 5 .

إن السبب الرئيسي لقيام محمـــد بن عبد الوهاب بدعوته الإصلاحية هو الانحطاط والتدهور الذي حل بالعالم الإسلامي في جميع المستويات والمجالات الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها.

هذا ولا شك أن أهم عاملين أساسيين اللذان دفعا محمـــد بن عبد الوهاب للقيام بدعوته الإصلاحية هما عامل الدين والسياسة لأنهما من أهم العوامل التي تقوم عليهم الأمة.

*** الحالة السياسية:**

كانت تتزعم العالم الإسلامي في مشرقه أثناء القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر ميلادي) ثلاث دول هامة هي الدولة العثمانية، الدولة الصفوية في فارس، والدولة المغولية في الهند.

أ - الدولة العثمانية:

فقد وصلت إلى ذروة مجدها في القرن العاشر الهجري (16م)، ونظر إليها المسلمون بإعجاب وتقدير حينما وسعت فتوحاتها في أوروبا لنشر الإسلام، ولكنها أخذت بعد ذلك تظهر فيها عوامل الضعف شيئا فشيئا حتى وصلت في القرن 12ه (18م) إلى حالة سيئة من الضعف والركود السياسيين.

فقد كان سلاطينها في ذلك الوقت من الضعف بما كان بحيث لم يكن لهم بحيث لم يكن لهم في أمر الدولة شيء، بل كان الأمر استبداديا بيد وزرائها ورؤساء الجيش الإنكشاري الذين لا يعرفون في أمر السياسة شيء، وكانوا انشغلوا بالملذات والشهوات، وأهملوا شؤون الدولة،و اهتم الكل بأموره الخاصة[1].

ب - الدولة الصفوية في فارس:

هي دولة رافضية مغالية في الرفض حكمت بلاد فارس وما جاورها وكانت شديدة العداء للدولة العثمانية باعتبارها ثاني دولة تنسب إلى أهل السنة، وكانت بداياتها على يد الشاه إسماعيل الدين العلوي سنة 906ه وسقطت عام 1135ه والغالب على أحوال الدولة الصفوية السياسية والعسكرية للاضطراب والحروب الداخلية.

ج - الدولة المغولية:

[1] محمـــد السلمان: المرجع نفسه، ص- ص 21 – 22 .

بدأت سنة 937ه في الهند وسقطت سنة 1274ه، وهي دولة تجمع بين التشيع والتصوف والوثنية وحالها هو حال سابقتها من الحروب والفتن والاضطرابات وسقطت بعد ذلك الهند لتقع في حكم الإنجليز[1].

أما حال المسلمين على حدود العالم الإسلامي فلم تكن بأحسن من داخله، فقد تعرضت الإمارات الإسلامية على حدود روسيا القيصرية للضغط الحربي من جانب روسيا وخاصة إمارة التركستان الشرقية، حتى اضطر المسلمون هنالك إلى قبول السيادة الروسية عليهم وذلك سنة 1144ه كما عان المسلمون في الصين من اضطهاد أسرة المانشو الحاكمة هناك فضيقت عليهم في دينهم.

أما المسلمون في اندونيسيا وبعض من جزر الهند الشرقية فقد كانوا في حالة من الضعف، فالبرغم من الانتشار الكبير للإسلام هناك عن طريق التجار المسلمين، إلا أن المسلمين هناك تفرقوا إلى إمارات صغيرة مما سهل على الهولنديين والإنجليز لغزوهم.[2] كانت هذه لمحة صغيرة عن حالة العالم الإسلامي السياسية فهي حالة سيئة تدل على ما كان يعنيه العالم الإسلامي في ذلك الوقت من فساد سياسي، وكان لهذا الفساد السياسي أثر على الجانب الاقتصادي، بحيث انعدم الأمن والاستقرار وبارت التجارة وأهملت الزراعة، من جاب آخر كانت فيه الدول الأوروبية تسعى نحو التقدم والرقي وتقوية النفوذ على حساب العالم الإسلامي، وأعطت أهمية كبيرة لتقوية الجيوش وتطير العلوم والاختراعات.

إن الوضع السياسي الذي كان يعيشه العالم الإسلامي في مشرقه ومغربه في عصر محمـــد بن عبد الوهاب، وضع متدهور يسوده الانحطاط والانحلال الأخلاقي لدى الحكماء والأمراء والوزراء، كما أنهم لا يهتمون بشؤون الدولة ولا يفقهون في أمور السياسة شيء، إضافة إلى ذلك التأخر في الزراعة وعدم وجود الحرف والصناعات وتقهقه الممارسات التجارية والاقتصادية وهذا ما أدى بالمسلمين في كل أنحاء العالم الإسلامي سواء في داخله أو حدوده إلى التشتت والتفرق، وهذا ما جعل الدول الغربية تتطلع لاحتلال البلدان الإسلامية حيث تم تسهيل عليهم كل الأمور من طرف الحكام والجيوش الذين انشغلوا في أمورهم الخاصة بدلا من أمور الدول الإسلامية.

*** الحالة الدينية:**

[1] عبد الله المطوع: الدعوة الإصلاحية وأعلامها، ط1، 1420ه، ص 38 .

[2] محـــمد السلمان: رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 24 .

يعد هذا القرن من أشد القرون التي سبقته من حيث سوء حالة المسلمين الدينية فيه، ويتمثل سوء الحالة الدينية في هذا القرن من خلال المظاهر التالية[1]:

1- انتشار أنواع الشرك وظهورها بين المسلمين، سواء بتعظيم القبور والمزارات والمشاهد، ودعاء أهلها إلى تقديس الأولياء والصالحين ووضعهم في مقام العبودية، أو الحلف بغير الله.

2- انتشار البدع في الدين بأنواعها، كبدع المواليد والمناسبات واضمحلال السنن.

3- غلبة الصوفية وتغلغلها في حياة الكثير من المسلمين وانشغالهم بخرافاتها وضلالاتها وانتصارهم بها.

4- ضعف الالتزام بشعائر الإسلام الظاهرة، وشيوع المنكرات الكثيرة في السلوك والأخلاق.

5- قلة الدعاة والمصلحين على العلم والبصيرة.

إن الحالة الدينية قبيل محمـــد بن عبد الوهاب لم تكن في حالة جيدة وإنما كانت في تدهور، خاصة حين دخلت الدولة العثمانية دور الانحطاط في القرن الثاني عشر هجري، وهذا ما أدى إلى سوء حالة المسلمين الدينية والتخلي عن عقيدة الإسلام وإتباعهم للبدع ودخولهم الشرك، وتمسك العلماء بالقديم أيا كان[2].

2- أحوال الجزيرة العربية قبيل مجيء دعوة محمـــد بن عبد الوهاب:

أ- الأحوال السياسية:

سبق وأن بينا حدود الجزيرة العربية وسنتحدث الآن عن الأحوال السياسية والدينية في القرن الثاني عشر الهجري، وسنبدأ من أهم جزء من هذه الجزيرة ألا وهو منطقة الحجاز، كان يحمه الأشراف تحت سلطة الدولة العثمانية، وكان هؤلاء الأشراف خلال هذا القرن في منازعات وحروب شديدة فيما بينهم، أما في اليمن فإنها كانت محكومة منذ أمد بعيد بحكم الأئمة الزيديين، وكانت بلادهم قد شهدت دخول العثمانيين إليها ولم يستقر الأمر لهم استقرارا تاما فيها واضطروا في نهاية الأمر إل تركها بسبب ثورة اليمنيين ضدهم.

[1] عبد الله المطوع: الدعوة الإصلاحية وأعلامها، المرجع السابق، ص 39.

[2] محمـــد السلمان: رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 27 .

أما في أحساء وما جاورها فإن بني خالد تمكنوا بزعامة براك بن عزي آل حميد من أجلاء الحامية التركية والاستيلاء على أحساء سنة 1080ه وفي أوج قوة بني خالد استطاعوا مد نفوذهم إلى الكويت وبعض بلاد نجد[1].

ب- الأحوال الدينية:

لقد ذكر المؤرخون – كابن غنام وغيرهم – عن حالة أهل نجد الدينية التي كانت فيها ظهر الكثير من البدع والخرافات والشركيات والجهل بحقيقة الدين الصحيح .

ففي نجد كانت القبور والأشجار والأحجار والمغارات تعبد من دون الله بأنواع القربان، وفي الحجاز واليمن وغيرهما من البلاد من ذاك الشيء الكثير، حيث يقول الإمام الشوكاني، وهو من المعاصرين لدعوة الشيخ أيضا في وصف ما يفعل عند القبور من الشرك (وكم قد سرى عن تشيد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكي لها الإسلام)[2].

وقد وصف الرحالة حالة المسلمين في بلاد نجد بأنهم أهملوا القرآن وما عادوا يعرفون في أي جهة تقع القبلة وتناسوا الزكاة والصيام والحج[3].

إن الحالة الدينية في الجزيرة العربية قبيل دعوة محمـــد بن عبد الوهاب لم تكن في حالة جيدة كما كانت من قبل، حيث ظهرت في هذه الفترة كل البدع وأساليب العبادة، والتي لم تكن تعرف، ودخل المسلمون في عالم الشرك بالله حين أصبحوا يدعون الأموات ويصلون على قبورهم والذبح والنذر للأولياء والصالحين وكل هذا هو منافي للدين الإسلامي والعقيدة.

3- محمـــد بن عبد الوهاب وحركته الإصلاحية:

أ- الإصلاح الديني:

إن الأوضاع الدينية في عصر محمـــد بن عبد الوهاب وقبيل دعوته في نجد كانت في حالة سيئة وكان المسلمون في تلك الفترة عادوا تقريبا إلى ما كانوا عليه في الجاهلية، حيث عبدوا الأشجار والأحجار والقبور واستغاثوا بها، ولما عاد الشيخ محمـــد إلى موطنه نجد تحقق وشاهد أن حالتهم تزداد

[1] عبد الله المطوع، الدعوة الإصلاحية وأعلامها، المرجع السابق، ص ص 48 – 49.

[2] صالح بن فوزان الفوزان: من أعلام المجددين، الرئاسة العامة للبحوث، العلمية والاقتناء، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط3، 2010، ص 89.

[3] محـــمد السلمان: رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 36.

سوءا في دينهم ودنياهم كما رأى إقرار العلماء والمفكرين في تلك المنطقة والحجاز على تلك المعاصي والمنكرات والمبتدعات، فقرر أن يكون موقفه مغايرا ومعارض لهم. ابتدأ دعوته لقومه في بلاد "حريملا" وبين لهم أنه لا يدعى إلا الله، ولا يذبح ولا ينذر إلا له، وأن عقيدتهم في تلك القبور والأحجار والأشجار من الاستغاثة بها وصرف النذور إليها، واعتقاد النفع والضرر منها وبأنهم في حالة لا ترضي، فلابد من نبذ ذلك[1].

ولا شك أن مسألة التوحيد تعتبر من أهم المبادئ التي قامت عليه دعوة الشيخ محمـــد بن عبد الوهاب، حيث يعرف الشيخ محمـــد بن عبد الوهاب بقوله: هو إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة، وهو دين الرسل الذين أرسلهم الله به إلى عباده.، ويقسم الشيخ التوحيد إلى ثلاثة أنواع وهي:

- توحيد الربوبية:

وهو توحيد الله بأفعاله مثل الخلق والرزق والإحياء والإماتة وتدبير الأمور، وإنزال الغيث، وهذا النوع.

-توحيد الألوهية:

هو توحيد الله بأفعال العباد التي تعبده مثل الدعاء والاستغاثة والتوكل وغير ذلك.

-توحيد الأسماء والصفات:

يقوم على الإيمان بكل ما ورد في القرآن الكريم والسنة الصحيحة من صفات الله ووصفه بها على الحقيقة، وعدم التعرض لها بشيء من التكييف أو التشبيه أو التأويل أو التحريف أو التعطيل والاعتقاد أن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير[2].

إذن عقيدة التوحيد أساسه الاعتقاد بأن الله وحده هو خالق هذا العالم، والمسيطر عليه، وواضع القوانين التي يسير عليها، والمشرع له وليس في الخلق من يشاركه في خلقه ولا في حكمه[3]. يرى الشيخ أن التوحيد هو العلم الأصح، فهو يتعلق بمعرفة الله تعالى وما يجب له من الصفات وما يجوز في حقه سبحانه وتعالى، وما يتبع ذلك من النبوة واليوم الآخر وأصول الخلق، فالتوحيد أصل الدين ويتضمن

[1] صالح بن فوزان الفوزان: من أعلام المجددين، المرجع السابق، ص 53.

[2] صالح بن فوزان الفوزان: من أعلام المجددين، المرجع نفسه، ص ص 62 – 63.

[3] أحمد أمين: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت، د ط، د س، ص 11.

التوحيد نفي وجود آلهة غير الله تعالى، ونفي التشبيه بين الله وخلقه، فالله في الإسلام وحده لا شريك له.

لهذا ارتبط الفكر الإصلاحي عند الشيخ محمـــد بن عبد الوهاب بالتوحيد الذي اعتبره هو الأساس الذي تبنى عليه الجزئيات حيث يرى: <<أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب واللسان والعمل، فإن من عرف التوحيد و لم يعمل فهو كافر[1]>>،فالتوحيد أن نعبد الله حق عبادته وألا نشرك به شيئا،فهو لا شريك له ولابد له،فالله تعالى يغفر الذنوب جميعا ألا أن تكون مشركا،و ذلك قوله تعالى: ﴿ **إِنّ اللّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا** ﴾[2].

أما موقف الشيخ من كرامات الأولياء يقوم على الإيمان بها وإقرارها، في حدود الشرع وضوابطه، كما هو موقف أهل السنة ويقول رحمه الله: وأما الصالحون فهم على صلاحهم رضي الله عنهم ولكن نقول ليس لهم شيء من الدعوة، قال تعالى: ﴿ **وَأَنّ الْمَسَاجِدَ لِلّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللّهِ أَحَدًا**﴾[3].

ويؤكد الشيخ على أن دعوته الإصلاحية تحفظ للصالحين حقوقهم، فيقول: الواجب حبهم واتبعهم، والإقرار بكراماتهم، ولا يجحد كرامات الأولياء إلا أهل البدع والضلال، ودين الله وسط بين طرفين، وهدى بين ضلالتين ...[4]

ومن هنا يتبين لنا أن الشيخ محمـــد بن عبد الوهاب أن ما يفعله العامة عند قبور الصالحين والأولياء وغيرهم مناف تماما لتوحيد الألوهية تمام المنافاة، ولا يمكن البناء على القبور ولا الذبح والنذر والدعاء لهؤلاء الأولياء لأن هذه من الأمور التي لا تجوز إلا لله سبحانه وتعالى.

ب- الإصلاح التربوي:

إن أهم المبادئ الإصلاحية التي تم التطرق إليها في دعوة الشيخ محمـــد بن عبد الوهاب هي إصلاح العقيدة وتربية النفس وذلك عن طريق الفهم الصحيح لمعنى التوحيد، كما أن هذه التربية لا تقوم على أسس الإسلام التي أمرنا الله بها ولابد أن تنطلق تربية الطفل من غرس معاني التوحيد في نفسه وذلك من خلال تعليمه معاني التوحيد ومعرفة الخالق والقرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم،

[1] محـــمد السلمان: رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب،ص 64.

[2] سورة النساء: الآية 48.

[3] سورة الجن: الآية 18.

[4] عبد الله المطوع: الدعوة الإصلاحية وأعلامها، المرجع السابق، ص96.

ومن هذا المنطلق وضع لنا الشيخ منهجا للتربية ينصح به الآباء في تعليم أبنائهم أمور دينهم وعلى هذا الأساس قدم لنا الشيخ محمـــد كتابه " تعليم صبيان التوحيد ".هذا الكتاب عبارة عن سؤال وجواب يبين فيه ما مدى تعليم الصبيان الإسلام والتوحيد حتى يكون الصبي على معرفة كاملة بدينه وفيه يقول:

س1: إذا قيل لك: من ربك؟

ج: فقل: ربي الله.

س2: وما معنى الرب؟

ج: المالك المعبود والمعين ... الله ... ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين.

س3: فإذا قيل لك: بما تعرف ربك؟

ج: فقل: أعرفه بآياته ومخلوقاته، ومن آياته: الليل والنهار، الشمس والقمر[1].

ومن هنا يتضح لنا أن اتجاه محمـــد بن عبد الوهاب التربوي الإسلامي كان يتركز على العقيدة ودعوة الناس إلى الابتعاد عن الشرك والبدع والخرافات وتنقية نفوسهم من كل هذه العادات السيئة التي كانوا عليها واستبدالها بالأخلاق الدينية وتوحيد الله عز وجل.

4- المبادئ التي تقوم عليها دعوة محمـــد بن عبد الوهاب:

1 – العودة بالإسلام إلى صفائه الأول: ذلك أن العقيدة الإسلامية في عهد الرسول وخلفائه الراشدين كانتا صافية نقية. فكانت مصدرا لعظمتهم ومبعثا لانتصاراتهم وفتوحاتهم الواسعة.

2 - التوحيد: ويتمثل في شهادة << أن لا إله إلا الله >> فالله هو الخالق الواجب عبادته والاستغاثة به.

3- أنكر تأويل القران الكريم وكفر كل من يقول بذلك.

4- فتح باب الاجتهاد بعد أن ظل مغلقا منذ القرن 4 هجري فكان له الفضل كبير في تحرير الفكر الديني عند المسلمين، بعد أن ظل مكبلا طوال ثمانية قرون.

دعا لإلى التقشف في العيش وإلى أجبار المسلمين على الصلاة والزكاة والقيام بأركان الإسلام بحذافيرها، وهدفه من ذلك إعادة بناء المجتمع الإسلامي[1].

[1] محمـــد بن عبد الوهاب: تعليم الصبيان التوحيد، دار الحرمين، القاهرة، د ط، د س، ص ص 7 – 8.

صادفت الدعوة الوهابية النجاح في البداية وقامت بمحاربة البدع وما علق بالإسلام من الشوائب والضلالات، وانتشرت الوهابية في شبه الجزيرة العربية، وكبر نشاطهم ووصلوا حتى إلى أطراف الشام والعراق، وكانت الوهابية صادمة وعنيفة وصلبة في نفوس المسلمين فدعوة محمـــد عبد الوهاب لم تكن متسامحة اتجاه البدع والخرافات والطقوس الممارسة، ورفضها التام للفرق والطرق الصوفية، ولهذا تم رفضها في الأخير و لم تلقى دعوة محمـــد عبد الوهاب عطف السنيين واعتبروها هرطقة.

[1]علي المحافظة: الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، المرجع السابق، ص42.

II - المبحث الثاني : مشارب محمـــد عبده الفكرية والإصلاحية:

يشهد تاريخ مصر على وجود العديد من المفكرين والعلماء والإصلاحيين إذ انبثقت العديد من الحركات الإصلاحية والفكرية وأحدثت صدى كبير خاصة الطبقات السامية والحاكمة في البلاد حيث كانت نقمة عليهم فالتيارات كانت موجهة لعامة طبقات المجتمع وكانت أهدافها تحت غطاء العقيدة الإسلامية والدين الإسلامي وعلى الرغم من التاريخ المجيد والثقافة والعلوم التي عرفتها الحضارة المصرية إلا أنها عانت في مرحلة من التاريخ من جمود فكري يحمل في أفكاره عادات وتقاليد الماضي والذي كان حكرا على فئة معينة من الناس ويرجع ذلك إلى عدم السماح للمفكرين والإصلاحيين وأصحاب الفكر من السفر خارج مصر ونفيهم وذلك لإعاقة البينية الفكرية لمصر وشعبها ومن هنا نتطرق إلى بعض الإصلاحيين الذين كانوا المرجعية الفكرية الأولى بالنسبة للشيخ محمـــد عبده ومنهم رافعة الطهطاوي إذ يأتي على رأس التيار المعاصر وقتها.

1- الإصلاح في فكر رفاعة رافع الطهطاوي (1801 – 1873):

كان من نتائج اتصال العرب بالغرب أن تعرفوا بالحركات السياسية وأنظمة الحكم الغربية، والمبادئ التي كانت تنادي بها تلك الحركات، والأسس التي قامت عليها تلك الأنظمة، واقتبسوا منها مفاهيم جديدة، كالحرية والديمقراطية والدستور <<المشروطية >> والوطن والوطنية والأمة والقومية.و كان للثورة الفرنسية صداها لدى المفكرين العرب .فأعجبوا، أول الأمر، بالحرية والمساواة والإخاء، ولكنهم ذهلوا لما جلبته الثورة من فتن وقتل وخراب[1].

كان الطهطاوي من عائلة قديمة، توارثت العلوم الدينية، وأقامت في مدينة طهطا في مصر العليا،فإذا بالظروف تخرجه من العالم القديم إلى العالم الجديد، ذهب الطهطاوي إلى الأزهر للدراسة، وهناك تابعة الدراسات المعروفة في المنهاج القديم، فالأستاذ الذي أثر فيه أشد التأثير كان الشيخ حسن العطار، أحد علماء العصر الكبار[2].

إلا أن فضل أستاذه هذا عليه كان أعظم وأوسع مدى، فهو الذي سعى بتعيينه إماما لفرقة من فرق الجيش المصري الجديد، ثم إماما لأول بعثة رئيسية أرسلها محمـــد علي للدراسة في باريس.فالأعوام الخمسة التي قضاها هناك كانت أهم أعوام حياته وبم أنه جاء كإمام لا كطالب، فاكتسب معرفة دقيقة

[1] علي المحافظة: الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، المرجع السابق، ص97.

[2] ألبرت الحوراني: الفكر العربي في عصر النهضة 1798-1939،تر كريم عزقول دار النهار، بيروت، د ط، د س، ص 91.

بالغة الفرنسية وبمشاكل ترجمتها إلى العربية، وطالع كتبا في التاريخ القديمة والفلسفة الإغريقية .كما قرأ سيرة نابليون وبعض الشعر الفرنسي بما في ذلك راسين، ورسائل اللورد، وكان أهم من هذا كله أنه تعرف إلى شيء من الفكر الفرنسي في القرن الثامن عشر باطلاعه على فولتر وكونياك واعقد الاجتماعي لروسو وأهم مؤلفات مونتسكو[1].

أ- الإصلاح السياسي:

يتحدث الطهطاوي عن أهمية الفكر السياسي وضرورته في بناء المجتمعات ويحدد أن السياسة التي يريد للناس أن يتعلموها ويمارسوها ليست السياسة بمعناها الرجعي، الحيلة والخداع، وإنما السياسة هي التي يكون الهدف منها فهم أسرار المنافع العمومية التي تعود على المجتمع – وعلى سائر الرعية، من حسن الإدارة والسياسة والرعاية في مقابل ما تعطيه الرعية من الأموال والرجال للحكومة.

ويهاجم الطهطاوي مذهب اللذين يريدون أن يكون الفكر السياسي وممارسته حكرا لطبقة أو فئة من الناس دون أبناء الشعب، ذلك المذهب الذي يرى دعاته << أن السياسة من أسرار الحكومة الملكية، لا ينبغي علمها إلا لرؤساء الدولة ونظار الدواوين >> ويدعو إلى تعليم مبادئ السياسة إلى لكل أبناء الشعب، في المدن والقرى،فيقول : إنه << قد جرت العادة، في البلاد المتمدنة، بتعليم الصبيان : القرآن الشريف في البلاد الإسلامية وكتب الأديان في غيرها قبل تعليم الصنائع وهذا لا بأس به في حد ذاته.ومع ذلك فمبادئ العلوم الملكية السياسية التي هي قوة حاكمية عمومية وفروعها مهملة في الممالك والقرى بالنسبة لأبناء الأهالي >>[2]. فيرى الطهطاوي أن الأفكار السياسية تعد عاملا أساسيا في بناء المجتمع المتحضر، ويجب على الناس معرفة السياسة النفعية التي تكون هادفة إلى خدمة مصالح الشعب بكل فئاته وطبقاته وليس حكرا على طبقة معينة من الناس فقط فهنا تكون الخدمة متبادلة، الشعب يمد الأموال إلى الحكومة والتي تتمثل في الضرائب وغيرها كمثال، وتقابله الحكومة بالإدارة الجيدة لرؤوس الأموال وحفظ ممتلكات المواطنين والشعب عامة.

أما الطهطاوي فقد تحدث عن وجود قوتين في المجتمع :

القوة المحكومة : أي الشعب والرعية، وعنده أن هذه القوة لابد أن تكون محرزة لكمال الحرية، متمتعة بالمنافع العمومية فيما يحتاج إليه الإنسان في معاشه ووجوه كسبه وتحصيله سعادته.

[1] ألبرت الحوراني: الفكر العربي في عصر النهضة 1798-1939، المرجع نفسه، ص 92.

[2] رفاعة رافع الطهطاوي : الأعمال الكاملة التمدن، الحضارة، العمران، ج1، ت ح محمد عمارة، دار الشرق، د ب، د ط، 2010، ص196.

والقوة الحاكمة : وهي التي تسمى أيضا بالمحكومة وبالملكية وهي تشمل مصدر الحكم المركزي وما يتفرغ عنه، وهذه القوة تنقسم إلى السلطات الثلاث، وبتعبير الطهطاوي فإن هذا الأمر المركزي تنبعث منه ثلاث أشعة قوية تسمى أركان الحكومة وقواها :

القوة الأولى : قوة تقنين القوانين وتنظيمها .

والثانية : قوة القضاء وفصل الحكم .

والثالثة : قوة التنفيذ للأحكام بعد حكم القضاء بها[1].

حسب الرأي الطهطاوي فإن المجتمع ينقسم إلى طبقتين قوة تأمر وهي الحاكمة ومحكومة فالأولى هي قوة الشعب والمجتمع تؤدي ما عليها من واجب على أن تتمتع بكامل المنافع العمومية الحكومية كالصحة والتعليم والأمن أما القوة الثانية وهي التي تترأس الحكم وهي التي تهتم بتنظيم المجتمع عن طريق القوانين والدستور وأحكام القضاء والصرامة في الكم وهكذا يسود العدل بين أفراد المجتمع الواحد.

ب- الإصلاح التربوي:

لم تكن أفكار الطهطاوي في المجتمع وفي الدولة مجرد عرض جديد للنظرة التقليدية، ولا مجرد انعكاس للأفكار التي تلقنها في باريس، بل مستشهدا في إثبات كل مسألة بالنبي والصحابة، يرى أن مفتاح الفضيلة هو التربية، حيث يقول إن التعليم يجب أن يكون متصلا بطبيعة المجتمع ومشاكله ويرى الطهطاوي أن غاية التربية تكوين الشخصية لا مجرد حشد عقل الطالب بكمية من المعارف، وأنها يجب أن تحمل التلاميذ على تقدير أهمية الصحة الجسدية، والعائلة وواجباتها، وفوق كل ذلك، حب الوطن الذي هو الدافع الأكبر للناس على محاولة بناء مجتمع متمدن[2].

فحسب رأي الطهطاوي أن التعليم والتربية عاملان أساسيان في بناء شخصية الفرد المتعلم وليس فقط مجرد الحشو والتعبئة في الأدمغة فقط، ومن الجانب التربوي كاحترام الوالدين وكبار السن وغيرها من القيم الخلقية.

[1] رفاعة رافع الطهطاوي : الأعمال الكاملة التمدن، الحضارة، العمران،المرجع السابق،ص198.

[2] ألبرت الحوراني : الفكر العربي في عصر النهضة 1789-1939، المرجع السابق، ص ص 96 – 102.

*** ضرورة تعميم التربية:**

وبالجملة فتربية أولاد الملة وصبيان الأمة وأطفال المملكة، ذكورا وإناثا، من أوجب الواجبات، كيف لا، والتربية مطلوبة حتى في غير الآدمي، فإن كل أمة تعتني بتربية ما ينفع الإنسان من الحيوانات المترلية، كالخيول النافعة في الجهاد، والنحل.و كانت أمة اليونان المشهورة بالحكمة في قديم الزمان تحسن تربية أبناء ملوكها غاية الإحسان، فلما ظهر أفلاطون وأعجبته هذه التربية وتهذيب الأخلاق بالطريقة المستحسنة التمس من اليونان أن يتخذوا تربية أبناء الملوك نموذجا ينسج على منواله تربية أبناء كل مالك ومملوك.[1] أشار الطهطاوي على أنه من الضروري جدا تميم التربية على كافة المجتمع وأفراده فإذا كانت التربية لغير الإنسان أي بتربية الحيوانات الأليفة والنفعية مثلا فكيف لنا أن لا نربي الإنسان الذي وهبه الله ميزة العقل وخيره عن سائر المخلوقات.

2- الإصلاح في فكر جمال الدين الأفغاني (1838 – 1897) :

لئن كان محمـــد بن عبد الوهاب يرمي إلى إصلاح العقيدة، ومدحت باشا يرمي إلى إصلاح الحكومة والإدارة فإن جمال الدين يرمي إلى إصلاح العقول والنفوس أولا ثم إصلاح الحكومة ثانيا، وربط ذلك بالدين، فيقول : << إن القوة النيابية لأي أمة لا يكون لها قيمة حقيقية إلا إذا نبعت من نفس الأمة، وأي مجلس نيابي يأمر بتشكيله ملك أو أمير، أو قوة أجنبية محركة له، فهو مجلس موهوم موقوف على إرادة من أحدثه >> فالعقول أولا، والحكومة ثانيا[2].

أ- الإصلاح الديني:

كان جمال الدين الأفغاني يقول بالمساواة بين البشر والعمل لخير النوع الإنساني، وكان يحارب التفرقة الدينية، ويرى أن الأديان الثلاثة على تمام الاتفاق في المبدأ والغاية، ويتمنى لو يتحد أهلها مثلما اتحدت هي في جوهرها وهدفها، فيخطو البشر بهذا الاتحاد خطوة كبرى نحو السلام. فهو يرى أن الديانات الثلاثة المسيحية واليهودية والإسلام جاءت بمبدأ واحد وهدف واحد وهو الإيمان بأن الخالق واحد لا شريك، كما دعا إلى بالعدل والقسمة بين جميع البشر دون تفرقة، ويرى أنه إذا أردنا تحقيق

[1] رفاعة رافع الطهطاوي :الأعمال الكاملة، السياسة،و الوطنية،و التربية ، ج2، ت ح محمد عمارة، دار الشروق، د ب، د ط، 2010، ص 331 .

[2] أحمد أمين : زعماء الإصلاح في العصر الحديث،المرجع السابق، ص59.

الإصلاح فلابد من العقل أولا ثم الحكومة ثانيا، وأن اتحاد البشر كاتحاد الأديان السماوية خطوة نحو تحقيق السلام الأبدي بين البشر.

كما أن الإصلاح الديني عند جمال الدين الأفغاني كان يدعوا إلى الرجوع إلى القرآن الكريم وهي نابعة من إيمانه العميق بأن القرآن الكريم هو الدستور الأول للعالم والأمة الإسلامية، ولا يمكن لأي مسلم أن يختلف على هذا الشيء لأن القرآن لم يترك شيء في هذا العالم ومنذ بداية خلق الله إلا وتكلم فيه، ولعلى تاريخنا الإسلامي وحياة سيد الخلق عليه الصلاة والسلام خير برهان على ذلك، فقبل مجيء الإسلام كان الناس والعالم أجمع يعيش في حالة من الجهل، وكانتا التفرقة والعنصرية والحروب تسود بين العرب، وذلك راجع إلى العقلية ة التعصبية التي كانت منتشرة في الجاهلية وبعد كل هذا جاء القرآن الكريم ووحد الناس أجمعين، وجعلهم أمة واحدة تحت سقف الإسلام لقوله تعالى: ﴿**إِنّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**﴾[1].

وهكذا لخص جمال الدين رأيه بأن الحركة الدينية هي أساس النهضة والتمدن الصحيح، ورسم منهاج هذه الحركة في عدة عناصر واضحة هي :

1- تنقية الإسلام مما علق به من الشوائب (ركز ذلك في الرد على الدهريين وجبرية الصوفية) .

2- تأليف حكومة إسلامية رائدها التعاليم الإسلامية الحقة والعدل والشورى، واختيار خير الناس لتولي الأمور.

3- مناهضة الاحتلال وتحرير الوطن الإسلامي من الاستعمار والاعتماد على استرجاع قوة المسلمين في تكافلهم وتآخيهم ومناهضة الاستغلال بكل قوة والتأليب عليه من غير هوادة.

4- طرح ما طرأ على الإسلام من عادات غريبة في السلوك والرجوع إلى موقف المسلمين الأول من القرآن.

6- تقريب مبادئ الإسلام من العقلية الإسلامية الحديثة، والتنديد بالمثقفين الذين يصطنعون أساليب الغرب(عن علم أو عن غير علم)[2].

[1] سورة الأنبياء: الآية 92.

[2] حمد بن صدق الجمال: اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر، في الصنف الأول من القرن الرابع عشر، ج1، دار عالم الكتب، ط1، 1994، ص 64.

ثم هناك التيار الذي كان أبرز تيارات الجامعة الإسلامية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والذي تزعمه جمال الدين الأفغاني، ولقد تميز هذا التيار بعدد من الخصائص في مقدمتها:

1- الإصلاح الديني من منطلق العقلانية الدينية،إيمانا بأن الشرق لن ينتصر في صراعه مع الغرب إلا إذا تسلح بسلاح العقل.

2- تجديد الصلات الحضارية مع الغرب، واقتباس المناسب منها[1].

ب- الإصلاح السياسي:

إن دعوة جمال الدين الأفغاني ترتكز على ضرورة إصلاح الجانب الديني والسياسي ذلك لأن وسطية الإسلام تحتم عدم التقوقع والتمسك بالتراث والعمل على الاجتهاد وإحياء العلوم الدينية وتنقية الإسلام من الشوائب والبدع التي تم لصقها به.و وضع من منهاج خاص بإصلاحه الديني لخصه لنا في عناصر كما لاحظنا سابقا وسلاح الشرق في محاربته الغرب يكون بالعقل وكيفية استعماله في ذلك كما أن الإصلاح الديني منطلقه العقلانية الدينية.

أما دعوته السياسية فقد تركزت في أمرين رئيسيين هما تحرير البلاد الشرقية من الحكم الاستبدادي وإنقاذها من الاستعمار الأجنبي.فقد طاف جمال الدين الأفغاني بلاد الشرق والغرب، فرأى التأخر والانحطاط والضعف من جانب، والتقدم والرقي في الجانب الآخر، رأى اتكالا وكسلا وموتا في قوم، وسعيا ونشاطا وحياة في الآخرين، ووجد سبب هذا التفاوت الكبير في أخذ الغربيين بأسباب العلم والمدنية وتمسكهم بأهداف الحرية، بينما خضع الشرقيون للحكم المطلق فعانوا استبداد الأمراء الظالمين، وتعرضوا لعدوان المستعمرين لتفشي الجهل والجمود فيقول : << انظروا إلى العالم الغربي تروه على تقسيماته الحاضرة، واستقلال عناصره بمميزاتهم القومية، لما تساووا على الوجه النسبي بالفضيلة، وأهمها العلم بالواجبات سواء كانت لهم أو عليهم >>.[2] .فيرى جمال الدين الأفغاني أن المجتمع الغربي يتميز على المجتمع الشرقي بكثير من الميزات وذلك من خلال زيارته للعالم الغربي وملاحظته للأقوام والشعوب فكان يرى عملا وسعيا وتقدما عند الغربيين ذلك من خلال معرفتهم بحقوقهم وتأديتهم لواجباتهم عكس الشعوب الشرقية بجهلها ما لها وما عليها عانت الاستبداد والاحتكار من طرف الحكام الظالمين.

[1] محمد عمارة: الجامعة الإسلامية والفكرية القومية، دار الشروق ، القاهرة، ط1، 1994، ص50.

[2] قدري قلعجي: ثلاثة من أعلام الحرية، جمال الدين الأفغاني،محمد عبده، سعد زغلول،دار الكاتب العربي، د ت، ص25.

لم يعتمد جمال الدين الأفغاني على الكتابة فقط في الصحف والمجلات وأحاديث الندوات والمنتديات، بل أضاف إلى الواقع المصري:

1- الانعطاف نحو الجماهير و"العامة" باعتبارهم أصحاب المصلحة الحقيقية في الحرية.

2- التبشير بأهمية التنظيم السياسي – الفكري في استمرار الدعوة، وعدو ذهاب آثارها بموت الداعي إليها، كما هو الحال بالنسبة إلى كثير من مذاهب الإصلاح ودعوات التجديد والتغيير.

ومن هنا كان الأفغاني أول من أقام تنظيما سياسيا وطنيا مصريا في العهد الحديث، وهو تنظيم الحزب الوطني الحر الذي ظهر، وهو الحرب الذي تكونت في صفوفه قيادات مصر السياسية والفكرية في ذلك التاريخ[1].

3- الإصلاح في فكر عبد الرحمن الكواكبي (1855- 1902) :

أ- الإصلاح الديني :

كان عبد الرحمن الكواكبي في حياته مصلا يدعوا إلى التقدم والنهوض بالأمم العربية والإسلامية، كما هو حال من سبقوه فدعا إلى ترك البدع والخرافات والتمسك بالعقيدة، وقد كان الشيخ متمكنا في علوم الدين ومتعمقا وباحثا فيها بشطريها القرآن والسنة ، وقد كان منطلقه في هذا بالتحديد قوله تعالى: ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللّهِ الّتِي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيّمُ وَلَكِنّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴾[2].

الإسلام دين الفطرة .. وهو مبني على العقل المحض .. والقرآن لا يكلف الإنسان الإذعان لشيء فوق العقل، بل يحذره وينهاه عن الإيمان إتباعا لرأي الغير أو تقليدا للآباء، وما أحوج الشرقيين أجمعين: من بوذيين ، ومسلمين، ومسيحيين، وإسرائيليين، وغيرهم، إلى حكماء لا يبالون بغوغاء العلماء الغفل الأغبياء، ر الرؤساء القساة الجهلاء، يجددون النظر في الدين، فيعيدون النواقص المعطلة، ويهذبونه من الزوائد الباطلة، فيحتاج إلى مجددين يرجعون به إلى أصله المبين[3]. ويوضح لنا الكواكبي أن الدين الإسلامي هو الدين الذي يولد عليه الإنسان بالفطرة، ويكون مبني على أساس العقل ولا يجهد الإنسان

[1] محـــمد عمارة: جمال الدين الأفغاني موقظ الشرق وفيلسوف الإسلام، دار الشروق، القاهرة، ط2، 1988، ص 234.

[2] سورة الروم، الآية 30.

[3] محـــمد عمارة: عبد الرحمان الكواكبي شهيد الحرية ومجدد الإسلام، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1984، ص183.

لشيء فوق حدود وتفكير عقله، بل يمنعه عن التقليد الأعمى، وحاجة العالم الإسلامي في وقتنا بكل طوائفه إلى حكام عادلين ومفكرين مجددين في الدين فيعيدون الدين كما كان حاله في وقته عليه الصلاة والسلام والسلف الصالح، ويخلصون الدين من الزوائد الباطلة التي لا دليل على وجودها.

أما الجانب الآخر، جانب الإسلام ديننا، فإن الكواكبي انطلاقا من هذا التمييز، قد رأى أن سر تجدده وحيويته إنما يأتي من هذا << النزوع السلفي >>، والعودة الواعية المستنيرة إلى المنابع النقية لهذا الدين، وإطراح ما علق به من بدع وتعقيدات وشبهات وخرافات وأساطير[1]،و ذلك لاستناده بقوله تعالى: ﴿ **مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ** ﴾[2]،أي مما يتعلق بالدين.

فهنا لا يقرر فقط ضرورة التجديد وأهميته، بل ويراه أمرا طبيعيا، ما دام طبيعيا كذلك أن تزحف على الدين بتقادم العهد أشياء غريبة عليه وبعيدة عنه، وأن التجديد هنا إنما يكون بالعودة والرجوع إلى المنابع الأصلية للدين[3].

كما قلنا سابقا أن فعبد الرحمن الكواكبي يتكلم عن حاجة الأديان الشرقية جميعا ويذكر الإسلام منها، إلى من يجددها بإعادة النواقص المعطلة فيه، ومحو كل ما هو زائد بالباطل، فالكواكبي يرى التجديد أمرا طبيعيا كما هو الحال عندما تعدى السابقون على الدين بإدخال البدع والخرافات التي لا علاقة لها بالدين الإسلامي ولا بالقرآن الكريم، والتجديد يكون بالرجوع إلى الأصل والمنبع الذي خرج منه، ومن خلا التجديد والمجددين سيقدمون للناس الدين الحقيقي على بساطته، فيصلح لهم نفوسهم ويكون بالأساس البناء لحياتهم.

يقول عبد الرحمن الكواكبي في كتابه أم القرى:

" ثم يا أيها أظنكم كذلك تستصوبون أن نترك جانب اختلاف المذاهب التي نحن متتبعوها تقليدا فلا نعرف مآخذ كثير من أحكامها وأن نعتمد ما نعلم من صريح الكتاب وصحيح السنة وثابت الإجماع وذلك لكي لا نفترق في الآراء وليكون ما نقرره مقبولا عند جميع أهل القبلة، إذ أن مذهب السلف هو الأصل الذي لا يرد ولا تستنكف الأمة أن ترجع إليه وتجتمع عليه في بعض أمهات المسائل لأن في ذلك التساوي بين المذاهب فلا يثقل على أحد نبذ تقليد أحد الأئمة في مسألة التخالف المتبادر

[1] محمد عمارة: عبد الرحمان الكواكبي شهيد الحرية ومجدد الإسلام،المرجع السابق، ص 188.

[2] سورة الأنعام: الآية 38.

[3] محمد عمارة: عبد الرحمان الكواكبي شهيد الحرية ومجدد الإسلام،المرجع نفسه، ص189.

من نص الكتاب العزيز أو تباين صريح السنة ثابتة في مدونات الصدر الأول[1].يدعو الشيخ عبد الرحمن الكواكبي لأن نترك ذهنية الاختلاف في المذاهب التي نتبعها تقليدا لما سبق فقط فنحن نتبعها ولا نعرف حتى منابع الكثير منها، وأن نرجع إلى الطريق الصواب والصراط المستقيم، وذلك ب الرجوع إلى الأصل وهو الكتاب والسنة، لكي لا نفترق ونكون على الرأي الواحد وإن مذهب السلف هو الذي نرتكز عيه في المائل المهمة والأم في ديننا الحنيف.

من الأسباب الدينية كذلك حاول الكواكبي أن يعود بالإسلام إلى صفائه وقوته، فيربطه بالحياة العامة ومن أسباب ضعف المسلمين :

1- تشريع الجماعة والجمعة وجمعية الحج، وترك خطبائهم ووعظهم، خوفا من السياسة، التعرض للشؤون العام.

2- الإنسان مدني بالطبع، لا يعيش إلا بالاشتراك، لكنه ينسى أوامر الكتاب والسنة، وله بضرورة الحفاظ على الرابطة الدينية التي تعني لديه: الولاء لعامة المسلمين، وبذلك ينسى الأصول ويتعلق بالفروع.

3- التشدد والتعصب، فنجده يدعوا هذا التشدد بالعاه التي تشوه جسم الإسلام السليم، وتعرقل فاعليته في الحياة العامة، على الرغم من أن التعصب طبع يأباه الإسلام وينكره شرعه[2] .تم تشويه الدين الإسلامي في نظر الكواكبي على يد بعض الفقهاء، حين أدخلوا عليه الزهد في الدنيا، والعبث بأركان الإسلام وذلك خوفا من الحكام الطغاة والمستبدين، ومنها لم يعد الدين عامل القوة في الحياة.

ب- الإصلاح السياسي:

يتركز الإصلاح السياسي على الاستبداد الذي هو فعل من أفعال من يملك نوعا من القوة المالية، أو العددية أو الفكرية، ثم يحاول أن يحوز على باقي القوى ليدعمها بالقوة السياسية التي تجعل من القوى الأخرى مجرد توابع تتعاون معها للحفاظ على قوتها[3].

[1] السيد الفراتي: أم القرى، وهو ضبط مفاوضات ومقررات مؤتمر النهضة الإسلامية المنعقد في مكة المكرمة سنة 1316،المطبعة المصيرة بالأزهر،1350 – 1931، ص12.

[2] ماجدة حمود: الكواكبي فارس النهضة والأدب، د ط، دمشق، 2001، ص 22.

[3] محمود عباس العقاد:عبد الرحمن الكواكبي، مؤسسة هنداوي، القاهرة، د ط، 2012، ص115.

يرى عبد الرحمن الكواكبي أن للاستبداد علاقة بالحكومة وذلك من خلال سيطرتها على شؤون الحياة العامة، فيقول بوجوب وضرورة وجود قانون تسير عليه الحكومات تحت إشراف الشعب، وهذا يشير لنا أن أي غفلة من الشعب في لحظة يمكن أن يجعل الحكومة طاغية واستبدادية.

وقد بين الكواكبي أن سبب الفساد الذي يسيطر على الفكر العام لأربعة قرون هو تلك السياسة المطلقة العنان التي اتبعها الحكام، فألف كتابه أم القرى، كي يجد متنفسا حر للتعبير الحر عن أفكاره، فيستمر في نقده الإصلاحي.

ويرى الكواكبي أن المنشأ الأصلي لكل الشقاء هو انحلال السلطة القانونية بسبب فسادها أو غلبة سلطة شخصية عليها، وهكذا انحرفت السياسة الإسلامية من الديمقراطية،في عهد الراشدين، إلى الملكية المقيدة بقواعد الشرع الأساسية، ثم أصبحت شبه مطلقة، ومثل هذا الانحراف أدى إلى ضعف المسلمين[1].

أما فيما يخص وسائل الاستبداد فيرى الكواكبي بأن الاستبداد لا يقاوم بالقوة وإنما عكس ذلك فهو يقاوم باللين بالتدريج، وذلك ببث الشعور بالظلم، وهذا يكون عن طريق التعليم نظرا لأن الاستبداد محفوف بأنواع القوات كقوة الجند وقوة المال وقوة رجال الدين وقوة الأغنياء فإذا قوبل الاستبداد بالقوة فإن نتيجته ستون فتنة وإنما الواجب مقاومته بالحكمة من أجل توجيه الأفكار نحو تأسيس العدالة[2].

يرى الكواكبي أن الاستبداد لا يقابله الاستبداد والقوة، بل هو يقاوم بالتسيير الحسن والعقلية اللينة، فالاستبداد تحيط به قوات مختلفة كالأغنياء والعسكر ورجال الدين وغيرهم من الأطراف المكونة للمجتمع، فإذا استعملت القوة في الاستبداد فستقع فتنة بين أفراد المجتمع الواحد، ومن الأفضل مقاومته بالحكمة من أجل التحكم في الأفكار وتحقيق العدالة الكلية.

[1] ماجدة حمود: الكواكبي فارس النهضة والأدب، المرجع السابق، ص 24.

[2] أحمد أمين : زعماء الإصلاح في العصر الحديث،المرجع السابق، ص 82.

ولقد تناول الكواكبي العدالة الاجتماعية من خلال بحثه عن علاقة الإنسان بالإنسان، ودور السلطة في تنظيم هذه العلاقة حيث يقول: " إن بحث الاستبداد والمال بحث قوي العلاقة بالظلم القائم في فطرة الإنسان، ولهذا رأيت أن لا بأس في الاستطراد لمقدمات تتعلق نتائجها بالاستبداد الجماعي المحمي بقلاع الاستبداد السياسي"[1]، فالاستبداد الجماعي يحدث حسب نظر الكواكبي عندما يقع المال في الأيدي الخاطئة ويكون هنالك الخداع وما يعرف بالاحتكار الذي بدوره يقود إلى الاستبداد المالي الذي يقود هو بدوره إلى أحداث الطبقية داخل المجتمع بين أفراد المجتمع الواحد.

[1]عبد الرحمن الكواكبي: طبائع الاستبداد ومصارع الاستبعاد، ت ح محمد عمارة،، دار الشروق، القاهرة،ط2، 2009، ص 73.

الفصل الثاني

المشروع الإصلاحي عند الشيخ محمـــد عبده

I - المبحث الأول:الإصلاح الديني والتربوي عند الشيخ محمـــد عبده.

1- منطلقات وتجليات الإصلاح الديني عند محمـــد عبده.

2- التجديد والتقليد عند محمـــد عبده.

3- الشيخ بين الأصالة والمعاصرة.

4- موقف الشيخ من نبوة الرسول صلى اله عليه وسلم

5- موقفه من التربية وأهميتها.

6- إصلاح جامع الأزهر.

7- معالجة الشيخ لقضايا المرأة.

II - المبحث الثاني: الإصلاح السياسي في فكر محمـــد عبده.

1- موقف الإمام محمـــد عبده من السياسة.

2- موقف محمـــد عبده من الثورة العرابية.

3- موقفه من الدولة العثمانية وفكرة الجامعة الإسلامية.

4- موقف الشيخ من الاحتلال البريطاني في مصر.

I - المبحث الأول: الإصلاح الديني والتربوي عند الشيخ محمـــد عبده

1 - منطلقات وتجليات الإصلاح الديني عند محمـــد عبده:

انطلق تفكير الأمام معبده كما انطلق تفكير الأفغاني من قضية الانحطاط الداخلي والحاجة إلى البعث الذاتي، وكان يشعر كالأفغاني لوجود نوع من الانحطاط الخاص بالمجتمعات الإسلامية.فالنبي محمـــد لم يرسل وفقا للنظرة الإسلامية السنية وللدعوة إلى الخلاص الفردي فحسب وإنما لتأسيس مجتمع فاضل أبضا وعلى هذا كان بعض التصرفات في المجتمع يتوافق مع دعوة النبي ومشيئة الله وبعضها لا يتوافق. ومع تغير الظروف كان لابد من أن يواجه المجتمع والحكام قضايا لم تتعرض لها الدعوة النبوية، فتصرفوا فيها تصرفا قد يبدو مخالفا لهذه الدعوة[1].

وكانت نقطة الانطلاق في تفكير الشيخ محمـــد عبده هي الانحلال الداخلي والحاجة إلى التجديد في الإسلام.لم يبحث عن الخلاص الفردي بل كان يسعى إلى إقامة المجتمع الصالح.وكانت تواجهه صورتان متباينتان للمجتمع الإسلامي صورة قديمة وجميلة تعود إلى عهد الرسول والخلفاء الراشدين،و صورة أخرى مهزوزة للمجتمع المعاصر. وكان عليه أن يوفق بين المجتمع الإسلامي الأفضل الذي كان يطمح إليه والمجتمع الذي كان يعيش فيه. وأدرك أيضا أن تطورات عديدة طرأت على المجتمع أللإسلامي الحديث بما أدخل من قوانين وأنظمة وضعية، سواء كان ذلك في مصر أو الدولة العثمانية، وأصبح في مصر نفسها نوعان من التعليم ونوعان من المعاهد: المعاهد الدينية التابعة للأزهر والتي تدرس العلوم الدينية، والمعاهد الحكومية، على النمط الغربي، حيث تدرّس العلوم العصرية، ونتيجة لذلك ظهرت في مصر طبقتان من المثقفين هما: طبقة المثقفين ثقافة إسلامية تقليدية، التي ترفض كل تجديد، وطبقة المثقفين ثقافة غربية، ومعظمها من الجيل الجديد، لا ترفض التطور والتغيير بل ترحب بكل جديد في ميداني الفكر والعمل[2]. وبعد توقف مجلة " العروة الوثقى " وانقضاء السنوات الثلاث المحكوم عليه أن ينفى خلالها من مصر، غادر الشيخ من باريس إلى بيروت سنة 1885، وهناك تفرغ للتربية والعليم والتجديد الديني، وكتب الفصول والمجلات، ووضع لوائح إصلاح التعليم العثماني والسوري والمصري، ودرس الأدب والبلاغة والقرآن بالمسجد العمري، تلك التي جسدت منهجه التجديدي[3].

---

[1] ألبرت الحوراني: الفكر العربي في عصر النهضة ، المرجع السابق، ص169.

[2] علي المحافظة: الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة،المرجع السابق، ص 81.

[3] صلاح زكي أحمد: أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث، مركز الدراسات العربية، القاهرة،ط1، 2001، ص 67.

كانت نقطة الانطلاق عند الشيخ محمـــد عبده هي التفكير في الانخطاط على المستوى الداخلي الذي أحل بالدين والمجتمع الإسلامي، فكان يسعى إلى تحقيق مجتمع إسلامي صالح مبني على القيم والأخلاق والعقل لتسيير شؤون الدين والدنيا، فواجهت الشيخ صورتان قديمة ومعاصرة، الأولى تعود إلى الزمن الصحيح الذي كان فيه كل شيء في مكانه زمن الرسول عليه الصلاة والسلام والخلفاء الراشدين، أما الصورة الثانية كانت الصورة الحالية للمجتمع الذي يعيش فيه الشيخ الصورة المهترأة المهزوزة المعالم والقوام رغم التقدم الذي وصلت إليه، فحاول الشيخ محمـــد عبده التوفيق بين الصورتين أي المجتمع الذي كان يطمح لتحقيقه والمجتمع الذي يعيش فيه، وعرف عصر الشيخ ظهور طبقيتين في المجتمع المصري: الأولى كانت طبقة دينية مصدر علمها وتخرجها الجامع الأزهر رافضة للتجديد والثانية التابعة للمعاهد الحكومية على الطريقة الغربية وكانت لا ترفض أي نوع من التطور وترحب بكل ما هو جديد.أما بعد سفره من باريس إلى بيروت جسد منهجه الإصلاحي انطلاقا من الكتابة في الصحف والمجلات وتعلمه للأدب والبلاغة والقرآن الكريم، كل هذه العوامل كانت نقطة الانطلاق لمنهج الشيخ الإصلاحي والتجديدي[1].

وما نود الإشارة إليه هنا هو تقدير الأستاذ الإمام للعقل الإنساني ، ومكانته، وقدراته في البحث والنظر والوصول إلى حقائق الأشياء في هذا الكون وهذه الحياة، وقد أشرنا إلى المكانة الرفيعة للدين في فكر الرجل وهذه الإشارات التي نود إيرادها هنا عن مقام العقل في الإصلاح الديني عند الأستاذ الإمام، وقد نشأت دعوة الشيخ محمـــد عبده في تجديد الديني على مجموعة من المبادئ والأسس التالية:

أ – إعلاؤه شأن العقل في تفسير القرآن، وهو كتاب الدين الأول والأساسي، ورأيه في وجوب أن يطرح الذين يريدون تفسير القران تفسيرا حديثا مستنيرا، أن يطرحوا جانبا " رؤية" السابقين من المفسرين، وأن يتزودوا فقط بالأسلحة والأدوات اللغوية، وشيء من أسلوب النزول، ومعلومات السيرة النبوية، ومعارف التاريخ الإنساني عن حياة الكون والشعوب التي يعرض لها القرآن الكريم، وإعلاؤه شأن العقل كقوة من قوى الإنسان، عند مقارنته بالقوى الأخرى التي يتمتع بها هذا الإنسان ... وهذا الأمر قريب جدا من موقف الفلاسفة الإلهيين ومنهم المعتزلة.

[1] صلاح زكي أحمد: أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث، مركز الدراسات العربية، القاهرة،ط1، 2001، ص 67.

ب – وفيما يتعلق بالنصوص المأثورة عن السابقين، يفرق الأستاذ الإمام ما بين القرآن وغيره من النصوص. ففيما يتعلق بغير القرآن من النصوص لا يرى الرجل لنص حصانة تعلي من شأن وما يصل إليه من براهين ومعطيات، ذلك أن الرواة ورجالات السند، لا نستطيع نحن بما لدينا من معلومات أن نجعل من مروياتهم هذه حججا تعلو حجة العقل الذي هو أفضل القوى الإنسانية على الإطلاق[1].

ت - تطهير الإسلام من البدع والضلالات والعودة به إلى نقائه الأول، وتحرير الفكر من قيد التقليد وفهم الدين على طريقة السلف، ومهاجمة التقليد والمقلدين كما فعل أستاذه الأفغاني، وأن أدى ذلك إلى جحد العقل برمته، فأكثر المقلدين يعتقد فيستدل، وقلما نجد بينهم من يستدل فيعتقد، وكان يخشى من استمرار التقليد وتعذر محو البدع والضلالات ويخاف من انهيار العقيدة بسبب طغيان الفكر الغربي الحديث[2]. فقد كان الشيخ يدعوا إلى تحرير العقل من التقليد كما كان يفعل معلمه جمال الدين الأفغاني، ويسعى إلى تخليص الإسلام من البدع والضلالات وأن يكون المجتمع يعتمد على العقل، فهو يرى أن المقلدين يعتقد بالشيء دون أن يقدم دليلا واضحا عن اعتقاده، وقل ما يظهر مقلد يقدم استدلالا واضحا ثم يعتقد، وكان خوفه من استمرار التقليد وقد يؤدي ذلك إلى انهيار العقيدة الإسلامية ودخول الفتن إليها بسبب الأفكار التي أدخلتها الحضارة الغربية على العالم الإسلامي.

ث - إعادة النظر في عرض المذاهب الإسلامية على ضوء الفكر الحديث، أو التوفيق بين الدين والعلم، وعمد إلى استعمال العلوم الحديثة في تفسير الآيات القرآنية ودعا إلى التوازن بين العلم والإيمان ويقول: ألا أنه من واجب العقل أن يتواضع أمام الله وأن يتوقف عند حدود الإيمان.أما ضمن هذه الحدود فليس هناك أي حاجز يعترضه ويعرقل نشاطه[3]، ومن هنا نرى أن الشيخ إلى ضرورة التوفيق بين الدين والعلم وأن نستعمل ونسخر إلى ما وصل إليه العلم من علوم وتطورات في تفسير الآيات والسور القرآنية، وعلى العقل أن يتواضع أمام الله سبحانه وتعالى وأن يتوقف عند حدود الإيمان به وألا يتعدى حدوده، فمثلا القرآن الكريم يروي لنا في قصصه بعض الأمور الغيبة والتي لا يمكن للعقل تصورها مثلا كقصة سيدنا موسى عليه السلام فنحن كمسلمين ومؤمنين نؤمن بهذه القصة لأنها جاءت في كتاب الله

[1] محمـــد عبده: الأعمال الكاملة في تفسير القرآن الكريم، تح.تق: محمد عمارة، ج1، ط1، دار الشروق، بيروت، لبنان، 1993، ص 181.
[2] علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة ، المرجع السابق، ص82.
[3] علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، المرجع نفسه، ص 84.

عز وجل ولكن من الجانب العقلي إذا أردنا أن نفكر فيها فعلينا أن نتوقف عند حدود الأيمان الموصى بها وأن لا نتعداها.

ج - موقفه من الممارسات الدينية: إن موقف الإمام محمـــد عبده من الممارسات الدينية، نجد بأنه قد قام بتصحيح العقائد الإسلامية التي تسربت إليها البدع والخرافات، كما قاوم بعض الظواهر الاجتماعية المرتبطة بالدين مثل تقديس الأولياء والتبرك والمسح على قبورهم بعد وفاتهم وفي الممارسات الدينية دعا أيضا إلى الحرية في السياسة وقد تمثل ذلك في الشورى، ودعا أيضا إلى حرية الدين، بمعنى يحق لأي إنسان أن يعبد الله أو أن يعبد غيره، وحارب البدع والخرافات التي الدينية التي دخلت على روح الإسلام وأفسدته وفي الحياة الاجتماعية في الشرق عامة وفي مصر خاصة، فشيخ دعا إلى تنقية العقيدة من مما وصلت إليه من منكرات كزيارة القبب والقبور والبناء عليها وتقديس الناس للأولياء الصالحين، والتضرع والذبح لهم، وهذه المعتقدات زائفة لا أساس لها من الحقيقة ولا ترتبط بالإسلام ولا بتعاليمه[1].

ولكن كيف يتجدد الدين ؟

يجيب الشيخ محمـــد عبده على ذلك في تفسيره للآية الكريمة: ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا** ﴾[2]، فيقول" إطاعة الله هي الأخذ بكتابه كله، وفيه ما رأيت عن النهي عن الاختلاف والتفرق في الدين، وإطاعة رسوله بعد وفاته هي الأخذ بسنته.و الأمور الإعتقادية والتعبدية يجب إرجاعها إلى هذين المصدرين، أو بعبارة أخرى ينبغي إرجاعها إلى ما كان عليه السلف الصالح بلا زيادة أو نقصان.أما أولوا الأمر الذين جاء ذكرهم في الآية فهم أهل الرأي والبصيرة، وهم الذين يسمون في عرف الإسلام أهل الشورى وأهل الحل والعقد، ويجب أن ترد إلى هؤلاء جميع الأمور القضائية والإدارية والسياسية، بما في ذلك إعادة النظر في الشريعة التي يقيمونها على القواعد الشرعية في حفظ المصالح ودرء المفاسد بحسب حال الزمان والمكان[3].

يرى الشيخ محمـــد عبده أن تجديد الدين وإصلاحه بإطاعة الله سبحانه وتعالى والأخذ بالقرآن الكريم كاملا وإطاعة الرسول عليه الصلاة والسلام بإتباع سنته والمشي عليها، ويرجع الشيخ كل الأمور

[1] محمـــد صبري: تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلى اليوم، دار الكتاب المصرية، القاهرة، ط 1، 1926، ص 188.

[2] سورة النساء: الآية 59.

[3] قدري قلعجي: ثلاثة من أعلام الحرية، المرجع السابق،ص 160.

إلى هذين المصدرين وما كان عليه صحابة رسول الله واستدل الإمام بالآية 59 من سورة النساء التي تلخص المغزى العام الذي لمح إليه الشيخ.و بإعادة الأمور الاقتصادية والقضائية والإدارية إلى الشريعة من أجل حفظ مصالح الناس والقضاء على المفاسد وذلك في أي زمكان.

وقد حدد الشيخ محمـــد عبده هدفه من الإصلاح الديني عندما قال عنه: " إنه يعني صديقا للعلم باحثا للبحث في أسرار الكون، داعيا إلى احترام الحقائق الثابتة[1].

ويرى الشيخ أن العقل والدين يخدمان بعضهما البعض ولا غنى الواحد عن الآخر فيقول: " العقل ضروري للدين فهو المرشد إليه، والدين ضروري للعقل لأنه يكمله ويقومه والإسلام يفتح صدره للعلم ويدعوا إليه لأن العلم يكشف أسرار الكون، وذلك يقتضي إلى معرفة الله وجلاله[2]. إن الشيخ محمـــد عبده يرى أن العلاقة بين الدين والعقل علاقة اتصالية لا ينفصلان عن بعضهما والواحد منهما يكمل الآخر وضروري له فالإسلام لما جاء فتح أبوابه للعلم والعلوم وإعمال العقل لأن باستعمال العقل نكشف أسرار الكون وبمعرفة العقل لأسرار الكون يقضي ذلك بمعرفة الله عز وجل.

ربما يقول قائل: إن المقابل بين العقل والدين تميل إلى رأي القائلين بإهمال العقل بالمرة في قضايا الدين، وبأن أساسه هو التسليم المحض، ولو كان كما عساه أن يقال لما كان الدين علما يهتدى به، وإنما الذي سبق تقريره: هو أن العقل وحده لا يستقل بالوصول إلى ما فيه سعادة للأمم بدون مرشد إلهي، كما لا يستقل الحيوان في إدراك جميع المحسوسات بحاسة البصر وحدها، بل لابد معها من السمع لإدراك المسموعات مثلا، كذلك الدين هو حاسة عامة لكشف ما يشتبه على العقل من وسائل السعادات، والعقل هو صاحب السلطان في معرفة تلك الحاسة وتصريفها فيما منحت لأجله والإذعان لما تكشف له من معتقدات وحدود أعمال[3]. هناك من يرى أنه يجب إهمال العقل في القضايا الدينية وأن الأساس والأصح هو أن نسلم بالمحض ولكن الدين وجد لهداية العقل وإرشاده إلى طريق الخالق، والعقل هو الأداة لفهم ومعرفة الدين والدين في نصه الأساسي " القرآن الكريم " خاطب العقل وطالبه بمعرفة الله والأيمان به، ودعاه إلى استخدام كل أدواة الإدراك والمعرفة (النظر بمعنى البصر والسمع والفؤاد والتعقل

[1] محمـــد عبده: الأعمال الكاملة في تفسير القرآن الكريم، المصدر السابق، ص 184.

[2] رحاب عكاوي: أعلام الفكر العربي الإمام الشيخ محمـــد عبده في أخباره وأثاره، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، 2001، ص ص 32–33.

[3] محـــمد عبده: رسالة التوحيد، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1994، ص 130.

والتفكر والتدبر ...)، فحتى الحيوانات لا يمكنها إدراك الأشياء بالاعتماد على الرؤية فقط بل لابد لها من حواسها الأخرى ليكون إدراكها كاملا، والدين هو الحاسة العامة الكاملة للقضايا التي يصعب على العقل حلها أو الوقوع في الشبهة فيها وله الأولوية في التفسير والفهم لإنتاج أي معرفة جديدة.

2 – التجديد والتقليد عند محمـــد عبده:

أ – موقفه من التقليد:

كان على التيار التجديدي العقلي أن يقف في مواجهة فريقين خصمين، رأوا أنهما تسببا في ضعف الأمة وجهلها ، الفريق الأول: تمثل في المدرسة الفقهية التقليدية الجامدة، والفريق الآخر تمثل في المستغربين أصحاب المدرسة المادية. وكان التجديد الوسيلة المثلى التي نادى بها أصحاب هذا التيار، لكي تتمكن الأمة من تحقيق نهضتها[1].

يقول الشيخ في كتابه الأعمال الكاملة في تفسير القرآن الكريم: " يجب تحرير العقل من قيد التقليد، وفهم الدين على طريقة سلف هذه الأمة قبل ظهور الخلاف، والرجوع في كسب معارفه إلى الينابيع الأولى... والنظر إلى العقل باعتباره قوة من أفضل القوى الإنسانية، بل هي أفضلها على الحقيقة...[2].

أنحى الإسلام على التقليد،و حمل عليه حملة لم يردها القدر، فبددت فيالقه المتغلبة على النفوس، واقتلعت أصوله الراسخة في المدارك ونسفت ما كان له من دعائم وأركان في عقائد الأمم.[3] يرى الشيخ محمـــد عبده أن التقليد هو المشكلة الأساسية سواء تقليد المشايخ القدماء فيما ابتدعوه أو أتوا به من الخرافات والبدع الضالة، والتقليد الأعمى للسلف الصالح دون أي موافقة بين القديم ومستجدات العصر الحديث وتغير الزمان والمكان، فيطالب الشيخ محمـــد عبده بتحرير الفكر من التقليد وفهم الدين على طريقة سلف الأمة وذلك من خلال العودة إلى تعاليم الدين الإسلامي في مختلف القضايا الدنيوية واجتهادات العلماء والمسائل الدينية.

---

[1] جمال الدين الأفغاني: الأعمال الكاملة، ت ح، محمـــد عمارة، ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1981، ص324.

[2] محـــمد عبده: الأعمال الكاملة في تفسير القرآن الكريم،المصدر السابق، ص 181.

[3] محـــــمـــد عبده: رسالة التوحيد، المصدر السابق، ص 158.

ففي كتابه " رسالة التوحيد " نجد نظريته التجديدية. ولا بأس بالاستشهاد قد يبدو طويلا لكنه يلخص معالم الإصلاح عند الشيخ وهو كالتالي: " أن الإسلام شجب التقليد الأعمى فيما يتعلق بالعقيدة، كما شجب التطبيق الآلي للواجبات الدينية، وقد نبه الإسلام الفكر من غفوته ورفع الصوت ضد الجمود والجهل، فأعلن أن الإنسان لم يخلق كي يقاضى في عنانه، وإنما من طبيعته الخاصة وراء العلم والمعرفة وراء علم الكون ومعرفة الوقائع والأحداث الماضية ".[1] أي أن نص الذي ذكرناه يوضح لنا أن الشيخ من خلاله بأن الدين الإسلامي يمنع عنا التعلق بالأشياء الموروثة عن أسلافنا ووجودهم قبلنا في الوجود لا يعني دليلا على قوة معرفتهم وإدراكهم في الإدراك والمعرفة والموجودات، بل أننا متساوون في طبيعة الإدراك.

هاجم الأمام محمـــد عبده التقليد والمقلدين فهو يقول: " التائت قلوب الجمهور من الخاصة بمرض التقليد" ، وكان يخشى من استمرار التقليد، وتعذر محو البدع والضلالات التي دخلت على الإسلام ولذلك شن أقسى الحملات على المقلدين: " فان التقليد كما يكون في الحق يأتي في الباطل، وكما يكون في النافع يحصل في الضار.

فإذا قيل إن ما يدعو إليه الإمام من اجتهاد وتخير في الأحكام وتأويلها لتطابق حاجة العصر وتلائم أحوال الأمم وأحوال الأزمنة، ابتاع مخالف للشرع. الذي أغلق باب الاجتهاد، هاجم هذا الادعاء وقال أن الإسلام قد صرف القلوب عن التعلق بما كان عليه الأبآء وما توارثه عنهم الآباء، وسجل الحمق والسفاهة على الآخذين بأقوال السابقين، ونبه على أن السبق في الزمان ليس آية من آيات العرفان، ولا مسميا لعقول على عقول، ولا لأذهان على أذهان، وإنما السابق واللاحق في التميز والفطرة سيان، بل للاحق من علم الأحوال الماضية، واستعداده للنظر فيها والانتفاع بما وصل إليه من آثارها في الكون، ما لم يكن لمن تقدمه من أسلافه وآبائه[2].

دافع الإمام محمـــد عبده عن موقفه من التقليد وأن ما دعا إليه ليس مخالف للشريعة الإسلامية، من أحكام وغلق لباب الاجتهاد، فقال أن الدين الإسلامي قد نهى عن التعلق التقليد وذم المقلدين لآبائهم من غير دليل أو برهان، وعاب عليهم صنيعهم، وقد جاءت في القرآن الكريم كثير من الآيات التي تبين لنا خطورة التقليد، لقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا**

[1] محـــمد عبده: رسالة التوحيد، المصدر نفسه، ص 117.

[2] قدري قلعجي: ثلاثة من أعلام الحرية، المرجع السابق، ص 162.

خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[1].

وبهذا الاتجاه البصير والتفكير العميق، يتحرر الدين من القيود التي كبله بها دعاة الجمود والتأخر، وتفسر قواعده تفسيرا يقبله العقل المنور، وتصلح به شؤون الأمم، وينطبق علو مقتضيات العصر، فيأخذ معتنقوه من أصوله الجوهرية بما لا يتعارض مع تطور الحياة، وتغير الزمان والمكان، ويقبلون أساليب المدنية الحديثة، معتمدين على أحكام العلم والعقل، عاملين بموحيات الحق والعدل والخير **...**

ولكن مجابهة الجامدين والشيوخ والخرافيين، والمؤمنين بهم بهذه الحقائق من الأمور الشاقة التي تكلف صاحبها العنت الثقيل، فإن الناس إذا ألفوا شيئا وجروا عليه بالتقليد زمنا طويلا، تعصبوا له دون تدبر ولا رؤية، ولم يقبلوا في انتقاده والدعوة إلى تركه حجة ولا برهانا، وعدوّا ذلك سفها وضلالا وكفراً، ودافعوا بكل ما يستطيعون من حول وقوة عن باطلهم الذي يوهمونه في صورة الحق لطول ما لازموه وسكنوا إليه[2]. إن مواجهة الآباء والشيوخ والذين يؤمنون بهذه الحقائق التقليدية تعتبر صعبة، فالناس إذا اعتادوا على شيء وقلدوه في مدة من الزمن أصبحوا متعصبين ومتشددين له دون تفكير أو تعقل، ولم يقبلوا الكلام فيه والنقاش حوله.

إن الله تعالى ذم المقلدين وعاب عليهم ذلك فقال سبحانه وتعالى حاكيا عن سيدنا إبراهيم عليه السلام أنه قال لأبيه وقومه: **﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾[3].**

إن التقليد الأعمى قد أضر المسلمين في شتى مرافق الحياة البشرية لأن قوما إذا انحرفوا عن تعاليم الخالق ونزوات الدنيا واتبعوا الأوضاع البشرية، وهربوا وراء آراء وأفكار المتربصين بهم فكانت نتيجة ذلك الخزي والعار والتخلف والانحلال، ويجب تحرير العقول البشرية من الأعباء المصطنعة التي فرضتها القوانين البشرية والعادات والتقاليد المتوارثة، وكذلك تتسم هذه الدعوة بالبساطة والوضوح، فلا تكلف

[1] سورة البقرة: الآية 168 – 171 .

[2] قدري قلعجي: ثلاثة من أعلام الحرية، المرجع السابق، ص 163.

[3] سورة الأنبياء: الآية 52 – 54.

المرء أن يطيع أمرا يتعذر عليه إدراكه أو تنفيذه أو تقليده وكذلك لا تعترف بامتيازات خاصة أو بنظام الطبقات، وتلك الطبقية هما ما تؤديان الأفراد والمجتمعات إلى إتباع بعض التقاليد المتوارثة البالية جيلا بعد جيل.

لقد حاول محمـــد عبده أن يضع تيارا جديدا حاول من خلاله التخلص من تيارين انتشرا في المجتمع هما التقليد والجمود القابع على الصدور والذي استقطب العديد من أبناء الأمة، وكذلك التخلص من تيار التغريب الذي لا يقل خطورة عن التيار التقليدي، والذي استقطب بدوره مثقفي الأمة الذين انبهروا بالغرب وقيما أرى أن نشأة هذه التيارات التقليدية-سواء كان تقليدا للقديم أو للجديد-كانت رد فعل ضرورية للأزمة التي كانت تعيشها الثقافة بوجه عام من خلال مؤسساتها المتعددة، والتي كانت هي نفسها- المؤسسات-تبث تلك التيارات الخطيرة على المجتمع فالأزهر والمدارس الأميرية تمثل التيار التقليدي الجامد، والمدارس الأجنبية تمثل التيار التغريبي،، ومن هنا كان لابد من قيام تيار معتدل، هو الذي أطلق عليه التيار السلفي العقلاني ذلك التيار الذي نادى به الأستاذ الإمام[1].

ب - التجديد عند الإمام:

اهتم رواد التجديد العقلي بالكشف عن آليات التغير الاجتماعي، وبحثوا في وسائل وسبل الإصلاح الاجتماعي والأساليب التي تساعد الأمة على اليقظة والتقدم الحضاري، وأجمعوا على ضرورة تجديد الفكر الديني وفتح باب الاجتهاد، على أساس أن التقليد كان أحد الأسباب الجوهرية في حالة الجمود والتخلف التي ألمت بالأمة الإسلامية. كما أجمعوا على أن الوحدة الإسلامية أهم وسيلة لمواجهة الأوضاع الداخلية المتردية والتحديات الخارجية المتلاحقة.

اعتمد محمـــد عبده في التجديد على الاجتهاد باعتباره أحد الوسائل المبنية على أسس إسلامية، ولما كان الاجتهاد هو الوسيلة المشروعة والحتمية لامتداد الصبغة الإسلامية لأحداث المجتمع الإنساني في الجماعات الإسلامية، فإنه لا يجوز أن يمارسه إلا من كان على الصفات العلمية التي كان عليها المجتهد الأول في القرون الثلاثة الأولى ، حسبما يتفق الفقهاء، ولذلك قرن الشيخ محمـــد عبده جوازه في عصره

[1] عبد الرحمن بدوي: الإمام محمد عبده والقضايا الإسلامية، د ط، 2005، ص 8.

بالشروط التي جوزته فيما مضى.[1] وعلى هذا التزم الإمام بمنهج السلف في الاجتهاد، مؤكدا على فهم الدين على طريقة السلف، وكانت النزعة العقلية التي تبناها الشيخ محمـــد عبده تقوم على استقلال الفكر ونبذ التقليد، تستند إلى أصول إسلامية، وفي ذلك يقول الإمام: " أنحى الإسلام على التقليد وحمل عليه حملة لم يردها عنه القدر، فبددت فيالقه المتغلبة على النفوس، واقتلعت أصوله الراسخة في المدارك، ونسفت ما كان له من دعائم وأركان في عقائد الأمم"[2]، فالدين الإسلامي عاب على أرباب الأديان في تتبع آثار الأولين والآباء، فأطلق الشيخ محمـــد عبده سلطان العقل من كل ما قيده من قبل، وخلصه من قيود التقليد وكل ما استعبده من قبل، ورده إلى مملكته الأصلية الأولى ويقضي بحكمه وحكمته، والخضوع لوحدانية الله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له والتوقف عند حدود شريعته وأحكامه، وبهذا تم للإنسان بمقتضى الدين الإسلامي أمران عظيمان طالما حرم منهما، وهما استقلال الإرادة الشخصية واستقلال الرأي وحرية التفكير. وأن التجديد لا يعنى أن ننقطع عن تراثنا، إذ هو الأساس والموجه إلى المستقبل وإلى التجديد، ولكن لا يقع المجتمع فريسة التقليد.

يعني ذلك أن الوسائل التي دعا الإمام محمـــد عبده لإلى استخدامها في التجديد لم تكن جديدة، و لم تكن مستمدة من مصادر عصرية، وإن كانت توصف بأنها عقلانية لأنها تعتمد على الاجتهاد العقلي الذي يعد أحد الأصول الإسلامية الثابتة. ومن هذا المنطلق اعتبر بعض المراقبين الغربيين أن الحركة الإصلاحية التي أسسها محمـــد عبده تعد إحدى الحركات التنويرية الداخلية الاحتجاجية ضد كثير من الأفكار الدينية والممارسات التي اعتبرت إسلامية في هذا الوقت، دون كثير من الأسس، إلا أن هذه الحركة عادت بوعي شديد من القرآن الكريم والسنة النبوية، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **{إِنّ اللّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمّةِ عَلَى رَأْسِ كُلّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدّدُ لَهَا دِينَهَا}**[3].و لقولهتعالى: ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ**

[1] حنان محمـــد عبد المجيد:التغير الاجتماعي في الفكر الإسلامي الحديث، ط1، المعهد العامي للفكر الإسلامي، فرجينيا، و.م.الأمريكية، 2011، ص 188.

[2] محـــمد عبده: رسالة التوحيد، المصدر السابق، ص 139.

[3] رواه أبو داود: في كتاب الملامح برقم 4291 وصححه الحاوي في المقاصد الحسنة رقم 149 وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم 599.

أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].لذا القران الكريم يقول أن بعض الأحكام التي نسخت أي محيت، استبدلت بأحسن منها والتي أجلت جيء بمثلها والتجديد بها ولكن بما يناسب مع ظرفها، ومنه نلاحظ أن المصدر والمنطلق الأول لحركة الشيخ كان مصدره الإلهام من القرآن الكريم والسنة النبوية وليس كما قيل بأنه من مصادر عصرية واعتمد فيها على العقل والاجتهاد، وكانت مقياسا للحكم على الأفكار والممارسات القائمة آنذاك، وخاصة في تفسير النصوص الدينية وفي تجديد التفكير الديني والفلسفي وكذلك العلوم العصرية في ذلك الوقت.

اعتمد منهج التجديد عند محمـــد عبد على تقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض، إلا أنه اعتبر الدين ضابطا للعقل، واعتبر العقل حكما في حقيقة الإيمان وطرح التقليدية العمياء، ولا ينكر محمـــد عبده حدود العقل الإنساني واحتياجه إلى موجه حيث يذكر أن العقل الإنساني محتاج في قيادة القوى الإدراكية والبدنية إلى ما هو خير له في الحياتين، إلى معين يستعين به في تحديد أحكام الأعمال وتعيين الوجه في الاعتقاد بصفات الله ... وذلك المعين هو النبي[2]. و من هنا تبرز أهمية الوحي كمرشد أساسي لأن الدين علم يهتدى به، فالعقل وحده لا يستطيع الوصول إلى تطور وازدهار الأمم دون أن يكون له مرشد إلهي، فالدين حاسة عامة تكشف ما يشتبه به العقل من وسائل السعادات، والعقل هو السلطان الأول في معرفة هذه الحاسة والتصريف فيها.

على هذا الأساس حافظت الحركة الإصلاحية التي قادها محمـــد عبده على احترام شديد للقرآن وكذلك العقل، وأكدت على عدم وجود صراع بين الدين والعقل، وأن الإسلام عقلاني، وبذلك ركزت على استخدام العقل ودعت إلى التمسك بالأصول في الوقت نفسه.و انطلاقا من افتراض أن الإسلام عقلاني، حددت الحركة مستوى حادا للاحتجاج على التقاليد المتزمتة والمذاهب الدينية الكلية، ومن هنا عادت إلى النصوص الأصلية لتحقق الإصلاح من خلال التطابق مع القرآن الكريم ونشر التعليم وتحسين التربية بين الجماهير.

وقد حاول " تشارل آدمز " التقليل من قيمة النهج العقلاني الذي اعتمده الإمام وسيلة للتجديد المفضي إلى التغير الاجتماعي، عندما ذهب إلى أن الإمام كان متقيدا داخل حدود الإسلام بل في حدود المسلمين التقليديين، واعتبره تقليدا متشددا للغاية فيما يتعلق برأيه في القرآن وفيما للنبي صلى الله عليه

[1] سورة الأعراف : الآية 157.

[2] حنان محمد عبد المجيد:التغير الاجتماعي في الفكر الإسلامي الحديث، المرجع السابق، ص 189.

وسلم من فضل وكرامة[1]. وما ذهب إليه " آدمز " لا يعطينا أي دليل على ضعف النزعة العقلية عند الإمام محمـــد عبده، ولكن قد ينفي الزعم بأن النزعة العقلية عند الشيخ محمـــد عبده قد عبرت عن من اقترابه من الاقتباس من المظاهر الحديثة، ففي الحقيقة أن النزعة العقلية عند الشيخ لم تكن تأخذ أو تعبر عن اقتباس المنهج الغربي في التفكير بقدر ما عكست تأثره بالمدارس الفكرية.

ولذا التجديد عند الإمام محمـــد عبده لا يفهم منه الرفض للتراث الإسلامي العريض جملة وتفصيلا، ولكنه دعوة لإعادة التراث بحيث يكون متفقا مع روح العصر الذي يعيش فيه الفقيه، وملائما لما يستقبل من الزمان، فقد رأى محمـــد عبده أن سنة الحياة التي تتسم بالتغير والتبدل الدائبين تتنافى مع التقليد الذي يتنافى أيضا مع العقل والمبادئ الإسلامية ، كما رأى أن مواجهة التقليد والجمود الفكري هو الوسيلة الأولى للتجديد[2]. من هنا تلخصت دعوة الإصلاح الديني لديه في ثلاثة أمور وهي دعوته إلى تحرير الفكر من قيد التقليد وعدم خضوع العقل إلا لسلطان البرهان بحيث لا يتحكم فيه أحد، تلازم الدين والعلم وترابطهم وعدم الصدام بينهم لأن الهدف الرئيس هو تقدم الإنسان بتقديم العون له والدين والعلم كل منهم يؤدي دوره فلا غنى لهذا عن ذاك، العودة إلى سماحة وبساطة الإسلام الأولى بحيث أن تغترف من المنبع وبذلك نذيب الخلاف الذي وقع بظهور الفرق المختلفة. ويقوم التجديد الذي دعا إليه على أسس من تعاليم الإسلام، حتى لا يكون هناك إفراط في مجال التجديد وتحكيم العقل فيحدث إفلات من تعاليم الدين، كما أنه في الوقت نفسه لا يتلبث الناس بالجمود ويظلون كما هم دون تقدم أو تطوير أو تجديد، بل إن الدين حاكم على كل تقدم وتجديد بحيث لا يحدث شطط أو إفراط أو تفريط.

3– الشيخ بين الأصالة والمعاصرة:

إن قضية الأصالة والمعاصرة هي قضية أساسية في قراءة تيارات النهضة في العام الإسلامي، إذ نجد بأن كل تيار يحمل مواقف وأفكارتعبر عن أراء أصحابها، فالكلام عنها يبدأ بالبحث في خلفيات التيارات هذه التيارات، ومع التنوع المختلف التيارات الإصلاحية في العالم الإسلامي والعربي لا يعني بذلك غياب أوجه التشابه بينها، فعصر الشيخ محمـــد عبده يقر له العلماء والمفكرون والمؤرخون بأنه

[1] حنان محـــمد عبد المجيد:التغير الاجتماعي في الفكر الإسلامي الحديث، المرجع السابق، ص 190.

[2] المرجع نفسه، ص 192.

المجدد في عصره الذي عاش فيه، إذ كما قلنا سابقا أن التجديد الذي قام به لم يكن يقصد به هدم الماضي ومحو التراث بل كان يجمع بين الأصالة والمعاصرة، بين الجديد والقديم، بين الأصل والفرع، فالتراث في وظيفته يخدم العصر من خلال دراسة ظواهر العصر الحديثة والمسائل إلى أحكام الشريعة الإسلامية، وهذا إن دل فإنما يدل على أن دعوة الإمام محمـــد عبده هي دعوة تتفق مع ما جاء به الدين الإسلامي، وما نهى عنه القرآن الكريم من تقليد أعمى للسابقين بدون برهان أو دليل ظاهر.

واستدل في ذلك على ما جاء في الحديث النبوي الشريف عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:**{ لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً ، تَقُولُونَ : إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا ، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا ، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا ، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا}**[1].

ويتضح لنا موقف الشيخ أو موقعه من الأصالة والمعاصرة في الفكر الإصلاحي ونتحدث عن أوجه التشابه وأوجه الاختلاف بينه وبين بعض المفكرين الإصلاحيين:

أ – محمـــد عبده بين جمال الدين الأفغاني وعبد الرحمن الكواكبي:

اكتوى السيد جمال الدين الأفغاني من السياسة الأوروبية ولعبها بالمسلمين، فصب عليها جام غضبه، واستغرقت حملته على السياسة الإنجليزية أكبر قسم في العروة الوثقى، واكتوى الكواكبي بالسياسة العثمانية فكانت موضع نقده. نظر الأفغاني إلى العوامل الخارجية للمسلمين فدعاهم إلى أن يناهضوها، ونظر الكواكبي إلى المسلمين فدعاهم إلى إصلاحها، فإنها إن صلحت لم تستطع السياسة الخارجية أن تلعب بهم. ولذلك كانت معالجة الأفغاني للمسائل معالجة تأثر، تخرج من فمه الأقوال نارا حامية، ومعالجة الكواكبي معالجة طبيب يفحص المرض في هدوء، ويكتب الدواء في أناة. الأفغاني غضوب، والكواكبي مشفق، الأفغاني داع إلى السيف، والكواكبي داع إلى المدرسة.و لعلى هذا يرجع إلى اختلاف المزاج، فالأفغاني حاد الذكاء حاد الطبع، والكواكبي رزين الذكاء هادئ الطبع، إذا وضعت أمامه عقبة تخطاها الأفغاني قبل والكواكبي بعد.فلا عجب إن كان الأفغاني دوي المدافع، وكان الكواكبي خرير الماء يعمل في بطئ حتى يفتت الصخر[2]. و من هنا نلاحظ أن جمال الدين الأفغاني وعلى خلاف

[1] محـــمد عبد الرحمن المباركفوري: كتاب تحفة الأحوذي في شرح جامع الترمذي، ج6، ص 146.

[2] أحمد أمين: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، المرجع السابق، ص 278.

محمـــد عبده يعطي للنشاط السياسي اهتماما كبيرا أكثر من اهتمامه بالشؤون الإصلاحية في حياة المجتمع.

وإن اشترك الكواكبي وجمال الدين الأفغاني في مفهوم الجامعة الإسلامية، فإنه يختلف معه في نظرته للاستبداد حيث يرى بأن الاستبداد لا يقاوم بالقوة أو الشدة، وإنما باللين والتدرج، ويمكننا القول بأن الكواكبي في كتابه طبائع الاستبداد يميل إلى العقلية والمزاج النفسي والعقلي عند جمال الدين الأفغاني، وفي كتابه أم القرى يكاد يشبه ويقترب من الأمام محمـــد عبده في المزاج النفسي والعقلي.

ب – الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني والإمام محمـــد عبده:

لقد تأثر محمـــد عبده بأستاذه جمال الدين الأفغاني وتفاعل معه وحاول أن يتتبع خطاه ويمتثل لتعاليمه ويقتبس أفكاره، لكنه لم يصاحب الأفغاني حتى النهاية، بعد أن تردد في اعتبار الإصلاح السياسي بوابة لكل عملية إصلاح كما يرى أستاذه، وأدرك أن الإصلاح ينبغي أن يبدأ بالإصلاح الديني والتربوي فصارح أستاذه جمال الدين بأن الوسائل السياسية لا خير يرجى منها، ذلك لأن تأسيس حكومة إسلامية لا يتوقف على إزالة الموانع الأجنبية فقط وإنه خير لهما لو عكفا على تربية أفراد على ما يحبون في مكان هادئ بعيد، لا سلطان للسياسة فيه ثم يذهب هؤلاء الرجال بدورهم إلى الأقطار المختلفة ليقوموا بتربية الأجيال القادمة كمثل ما تربوا هم عليه[1].

نجد أن الشيخ محمـــد عبده قد سعى إلى الابتعاد عن ما اهتم به جمال الدين الأفغاني، فكان الأفغاني مركزا على الجانب السياسي أكثر، وقد ركز جهوده في مجال الحقل الديني والتربوي خاصة ولكنه لم يستطع الإفلات من المفاهيم والأفكار التي تلقاها من عند أستاذه جمال الدين.

يتضح لنا مما سبق أن المشروع الإصلاحي للشيخ محمـــد عبده والآثار التي تركه وراءه قد اهتم بها من بعده ودرست نظرا لأهمية ما قام به الشيخ خاصة الجانب الديني والتربوي، فأصبح محمـــد عبده للمجتمع المصري والإسلام عامة يعتبر المجدد بل أبرزهم في الفقه الإسلامي في العصر الحديث، وأحد دعاة الإصلاح وأعلام النهضة العربية الإسلامية، ففي نظرهم قد ساهم بتحرير الفكر من الجمود الذي أصابه لعدة قرون، وإيقاظ الأمة نحو التحرر وإحياء الاجتهاد الفقهي لمواكبة العصر الحديث وتطوراته في مختلف النواحي السياسية والاقتصادية والثقافية.

[1] جرجي زيدان: مشاهير الشرق، د ط، د س، القاهرة، ، ص 281.

4 – موقف الشيخ من نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم:

هناك أدلة عقلية تثبت دعوى محمـــد بأنه خاتم الأنبياء. فسلسلة الأنبياء لابد أن تنتهي عند حد ما، إذ تكون البشرية جمعاء قد ظفرت بالهداية الضرورية إلى سعادتها، وهذا ما تم بنزول الوحي الإسلامي، فقد أرسل محمـــد عندما كانت البشرية قد نمت نموا كاملا وأصبحت قادرة على فهم كل ما كان ضروريا لها، ومن الممكن البرهان أن الرسالة التي نقلها محمـــد تلبي جميع حاجات الطبيعة البشرية وأنها موجهة إلى البشرية جمعاء[1]. يرى الشيخ بوجود أدلة عقلية واضحة على أن سيدنا محمـــد عليه الصلاة والسلام هو خاتم الأنبياء والمرسلين، فخاتمة الأنبياء كانت لابد منها في يوم ما، وبذلك يكون العالم قد فاز بالهداية والسعادة، وتم ذلك بنزول الوحي على الرسول صلى الله عله وسلم، فالله سبحانه وتعالى أيد الرسل والأنبياء بالحجج والبينات على صدق نبوتهم ودعوتهم لقوله تعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ**﴾[2]، وكان من حكمته سبحانه وتعالى أن جعل معجزات لكل رسول مما يتناسب مع عصره وقومه الذين بعث فيهم أما نبينا محمـــد عليه الصلاة والسلام بمعجزة القرآن فقد بعث للبشرية جمعاء.

عند هذا الحد يجب على العقل أن يتوقف. فبعد أن يبرهن العقل على أن القرآن يحتوي على رسالة إلهية، عليه أن يتقبل كل ما جاء فيها بلا تردد، وبعد أن يعترف بأن محمـــد نبي الله، عليه أن يقبل محتوى رسالته النبوية التي حواها القرآن والأحاديث برمتها، أو بالأحرى الأحاديث الثابتة بالإسناد المتواتر الصحيح[3]. فالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف يحتويان على حقائق كونية يمكن للعقل أن يحتويها ويبلغها. ومبادئ للفرد والمجتمع والتنظيم الاجتماعي.

مهما قيل في دعوة الشيخين جمال الدين الأفغاني ومحمـــد عبده فقد تأثر بهما الكثير من المفكرين العربي والمسلمين من الأجيال اللاحقة، فكان أشهرهم والمتأثرين بهم في مصر محمـــد فريد وجدي وقاسم أمين وأحمد لطفي السيد وعبد العزيز جاويش وفي بلاد الشام الشيخ طاهر الجزائري (1851– 1920) صاحب الفضل في إنشاء المكتبة الظاهرية بدمشق، والشيخ حسن الجسر (1845 – 1909) مؤسس المدرسة الوطنية الإسلامية في طرابلس، التي كانت تدرس العلوم العصرية باللغات

[1] ألبرت حوراني: الفكر العربي في عصر النهضة، المرجع السابق، ص 181.

[2] سورة الحديد: الآية 25.

[3] ألبرت حوراني: الفكر العربي في عصر النهضة، المرجع السابق، ص 182.

العربية والفرنسية والتركية، ومؤلف الرسالة الحميدية في الدفاع عن الإسلام وعرض مفاهيمه ببيان سهل خال من زخرف اللفظ واستطراد الحواشي[1].

- في الإصلاح التربوي:

5-موقفه من التربية وأهميتها:

إن فكر الأستاذ الإمام محمـــد عبده في مجال التربية والتعليم وجهوده في هذا الميدان لا تقل قيمتها عن آراء رجال الفكر التربوي الغربي إن لم تتفوق عليها، بل كان له السبق عليهم في بعض قضايا التربية.فالفكر التربوي للأستاذ محمـــد عبده فيه الجديد الذي يستحق البحث والتحليل والذي يساير الاتجاهات التربوية المعاصرة، وكان يجب أن يوضع في مكانه الحقيقي واللائق به بين الأفكار والمذاهب التي تدرس في ساحات العلم ودور التعليم في مجتمعاتنا المعاصرة.

بلغ الوعي التربوي بمصر في نهاية القرن التاسع عشر ذروته بإصدار قرارات كانت تستهدف نشر وتعميم التعليم في المرحلة الأولى وإقامة نظام تعليمي موحد فيها، وذلك بإذابة الفوارق بين التعليم في الكتاتيب والمكاتب الأولية من جهة والمكاتب الرسمية الابتدائية من جهة أخرى.و مع أن هذا المشروع لم يترجم إلى واقع عملي بسبب الظروف المالية والسياسية التي تعرضت لها البلاد، إلا أنه أحدث يقظة قومية ووعي تربوي بأهمية التعليم وقيمته وأخذت التربية تكتسب مكانة كبيرة كأداة لإصلاح المجتمع، وأن العمل التربوي يجب أن يسبق الأعمال الأخرى في تحقيق هذه الغاية[2]. كما أننوع التربية التي يراها ويدعوا إليها محمـــد عبده من الأمور التي تستحق التأمل والانتباه فهي تربية تستند إلى الدين وتتبع تعاليمه[3]. إن التربية في مصر بلغت ذروتها مع نهاية القرن 19 وبداية القرن 20، وكان الهدف من هذا هو نشر التعليم والتربية على نطاق واسع داخل المجتمع المصري.

أعطى الإمام محمـــد عبده أهمية خاصة للإصلاح التعليمي والتربوي على أنه متطلب سابق للازدهار والإصلاح السياسي، ولقد كانت له آراءه المتبلورة في هذا الموضوع فمن ناحية لم يقصد التعليم المدني خلوا من التعليم الديني حيث أكد على أن يكون الدين أيضا أساس التربية.

---

[1] علي المحافظة: الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798 – 1914، المرجع السابق، ص 87.

[2] محمـــد فوزي عبد المقصود: الفكر التربوي لمحمد عبده، مطبعة جامعة الفيوم، القاهرة، د ط، د س، ص42.

[3] عبد الرحمن بدوي: الإمام محمد عبده والقضايا الإسلامية، المرجع السابق، ص 83.

من النظرة الشاملة إلى الفكر الذي قدمه الأستاذ الإمام في موضوع التربية والتعليم نجد أن الرجل كان صاحب نظرة مثالية، غير واقعية إلى هذا الحقل من حقول الإصلاح.. فهو عندما اعتقد أن التربية هي العصا السحرية التي تغير كل شيء، وتبدل كل سلبي إلى ايجابي، وتعدل كل منقوص تجعله كاملا،و تطلق كل مقيد فتجعله متحررا[1].

ويرجع تفضيل الأستاذ الإمام محمـــد عبده لأسلوب التربية كسبيل لإنهاض المجتمع وتحقيق استقلاله إلى عاملين:

- **العامل الأول**: أنه جرب أسلوب السياسة وشارك في الثورة العرابية وتعرض للسجن والنفي فلم يثمر كل هذا الثمرة المرجوة، لهذا فقد آمن بأن عمل السنين في السياسة قد يضيع ولا يبقى من أثره ما ينفع، بينما عمل السنين في تربية الأمة لن يضيع ولن يذهب سدى.

- **العامل الثاني**: استعداده وموهبته الشخصية التي فطرت على حب التربية والتعليم، فقد اقبل في حماس على التدريس في الأزهر بعد حصوله على الشهادة العالمية[2]. كان منهاج الإصلاح عند الشيخ محمـــد عبده عن طريق سلوك طريق التربية بدلا من السياسة عكس معلمه جمال الدين الأفغاني، فالشيخ يرى أن العمل السياسي قد يزول مع الوقت ولا يعود نفعه على المجتمع، بينما الجانب والإصلاح التربوي لن يضيع، واستخدم الإمام في ذلك شخصيته التي ولدت على فطرة العلم والتربية.

احتلت آراء الشيخ في التربية والتعليم مكان الصدارة وآرائه الإصلاحية، واستحوذت على أغلب جهوده – إن لم تكن جميعها – في كثير من فترات حياته، ويتضح ذلك من قوله: " إن الذين يرمون الخير الحقيقي لوطنهم يجب أن يوجهوا اهتمامهم إلى إتقان التربية ونشر التعليم، إذ أن إصلاح نظم التربية والتعليم في البلاد يجعل وجوه الإصلاح أكثر يسرا[3]، كما آمن بأن التعليم سبيل إنقاذ المجتمع المصري، وبأن إصلاح البرامج عن طريق إيجاد المسلم الصالح. وانطلاقا من هذا الإيمان فقد قدم مذكرتين: الأولى: قدمها في بيروت إلى السلطان العثمانية بعد إعلان شيخ الآستانة عن صدور إرادة

[1] عبد الرحمن بدوي: الإمام محمد عبده والقضايا الإسلامية، المرجع السابق، ص 88.

[2] محمـــد فوزي عبد المقصود: الفكر التربوي لمحمد عبده، المرجع السابق، ص 43.

[3] زكريا سليمان بيومي: التيارات السياسية والاجتماعية بين المجدين والمحافظين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1983، ص 101.

سنية بإصلاح المدارس والتعليم عن السلطان عبد الحميد. الثانية: قدمها في القاهرة إلى اللورد " كرومر " عقب عودته من منفاه[1].

يقول الإمام محمـــد عبده في كتابه الأعمال الكاملة: "إن الإنسان لا يكون إنسانا إلا بالتربية، وليست هي عبارة عن إتباع الأصول التي جاء بها الأنبياء والمرسلون من الأحكام والحكم والتعاليم وهي عابرة عن السعادة الحقيقية، تعلم الإنسان الصدق والأمانة ومحبة نفسه، فإذا تربى أحب نفسه لأجل أن يحب غيره، وأحب غيره لأجل أن يحب نفسه".فإذا تربى الإنسان أحس في نفسه أنه سعيد بوجود الآخر معه، ولكن نحن في وسط لا يحس فيه أحدنا إلا أنه شقي بوجود غيره، وقد ذهبت الثقة بيننا أدراج الرياح، وخلفتها الشكوك والريب والظنون الأثيمة، المولدة للوساوس والأوهام، ولا شقاء للمرء أعظم من وجود ضميره في مثل هذا الشقاء والحسبان[2].

كما رأى محمـــد عبده أن إصلاح حال المسلمين وإصلاح مجتمعاتهم يبدأ بإصلاح أنفس الناس، وقد أخذ الشيخ محمـــد هذه الفكرة أو استلهمها من القرآن الكريم لقوله تعالى: ﴿**إِنّ اللّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾[3]، فكان مهجه هو التدرج في الإصلاح وسلوك طريق التربية البطيء بدلا من طريق الثورة السريع،كما رأى أن التدرج في الإصلاح هو الطريق الأقوم والأضمن في تحقيق الغاية، وأن التربية المستندة إلى الدين بعد تجديده هي السبيل الوحيد لبلوغ الغاية المرجوة والتحرر السياسي[4].

فيقول الإمام: " لو كنا متربين لانبث فينا إحساس واحد يؤلف بين شعورنا وحاجاتنا، وحينئذ يحس كل فرد منا بأن عليه وظيفة يؤديها لنفسه ولغيره. إن بلادنا ليس بلاد الجوع القتال، ولا بلاد البرد القارس المميت، ولا بلاد الشقاء التي لا ينال الإنسان فيها قوت يومه إلا بالعذاب الأليم. بل نحن في بلاد رزقها الله سعة من العيش، ومنحها خصوبة وغنى يسهلان على كل عائش فيها قطع أيام الحياة بالراحة.

---

[1] غازي التوبة: الفكر الإسلامي المعاصر، المرجع السابق، ص 29.

[2] محـــمد عبده: الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده، الإصلاح الفكري والتربوي والإلهيات، تحقيق، محمـــد عمارة،ج3، دار الشروق، بيروت، القاهرة،1993، ص 169.

[3] سورة الرعد: الآية 11.

[4] زيلوخة بوقرة : سوسيولوجيا الإصلاح الديني في الجزائر، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين – نموذجا – رسالة ماجيستر، جامعة باتنة، 2009، 73.

ولكن ويا للأسف !!منيت، مع ذلك، بأشد ضروب الفقر: فقر العقول والتربية"[1]. إن التربية حسب مفهوم الشيخ تعلمنا الإحساس بالآخر في المجتمع وهنا نتبادل الوظائف والأعمال ويصبح لنا حقوق وعلينا واجبات اتجاه الفرد الآخر داخل المجتمع الواحد، فالتربية في المقام الأول ترجع إلى تربية النفوس أولا من كل ما يحثها على المنكر، وإن المجتمع المصري كان يزخر بكل متطلبات الحياة، وليست البلاد التي يعاني فيها الإنسان من أجل لقمة العيش، وإنما هي بلاد تعاني من فقر العقل والتربية.

أكد الأستاذ الإمام محمـــد عبده على أن التربية هي عملية إنماء الفرد مع توجيه هذا النمو وجهة تفيد المجتمع وفي ذلك يقول: " إن التربية هي عملية إنماء الفرد للمعيشة الصالحة في نفسه ومع الناس الذين يعيشون معه فإذا تربى الإنسان أحب نفسه لأجل أن يحب غيره، وأحب غيره لأجل نفسه.و تنادي هذه التربية الحديثة بنفس هذا المبدأ فهي تنظر إلى التربية على أنها عملية تعمل على إنماء الفرد إلى أقصى حد تمكنه قدراته واستعداداته[2].

إن التربية عملية فردية اجتماعية، وتحتاج هذه التربية إلى وجهة سليمة واجتماعية، حيث يوجه هذا النمو توجيها اجتماعيا لكي تكسب الفرد الطابع الاجتماعي للمجتمع الذي يعيش فيه حتى يستطيع أن يعيش فيه ويحيا بداخله، وهذا إن دل إنما يدل على أن الشيخ كان سابقا لعصره في الفكر التربوي.

فقد أكد الأستاذ الإمام محمـــد عبده على إن " التربية ينبغي أن تكون عملية شاملة متكاملة لأن نمو الإنسان يتم بطريقة متكاملة من النواحي البدنية والعقلية والنفسية في آن واحد ، وهذه الجوانب يؤثر ويتأثر بعضها ببعض".

والتربية بمفهومها الحديث هي خبرة حية يكسبها الإنسان من خلال تفاعله مع البيئة التي يحيا فيها. وقد عبر الأستاذ الإمام عن هذا المفهوم قائلا: " كل إنسان لا ينضج ولا يستوي إلا من خلال تجارب الحياة وشدائدها، فالشدائد والتجارب تخلق الرجال وتصنع الأبطال، فأصبحت التربية المستمرة مطلبا هاما من مطالب المجتمعات الحديثة ومبدأ هاما من المبادئ التي تأخذ النظم التعليمية الحديثة، حيث أصبحت من الضروري للأفراد مواصلة تعليمهم للحاق بمطالب الحياة المتغيرة من حولهم[3].إن التربية الحديثة ترى أن التربية عملية تعمل على إنماء الفرد إلى أقصى حد، مع توجيه نموه إلى وجهة تكمن الفرد

[1] محمـــد عبده: الأعمال الكاملة للشيخ محمـــد عبده، المصدر نفسه، ص 168.

[2] محمـــد فوزي عبد المقصود: الفكر التربوي لمحمد عبده، المرجع السابق، ص 44.

[3] المرجع نفسه، ص 45.

من اكتساب الطابع الاجتماعي للمجتمع الذي يعيش فيه وهذا إن دل إنما يدل على أن الشيخ محمـــد عبده كان سابقا لعصره في الفكر التربوي،و أن التربية عملية كاملة لا تقتصر على جانب واحد، بل ينبغي على التربية أن تشمل جوانب الإنسان العاطفية والاجتماعية والخلقية والعقلية.

يقول الشيخ محمـــد عبده في كتابه الأعمال الكاملة: " ليست القوانين التي تفرض العقوبات على الجرائم وتقدر المغارم على المخالفات هي التي تربي الأمم وتصلح من شؤونها، فإن القوانين لم توضع في جميع العالم إلا للشواذ والهفوات والسقطات، وأما القوانين العامة المصلحة فهي نواميس التربية الملية لكل أمة".

إن العلم الحقيقي هو الذي يعلم الإنسان العلاقة الموجودة بينه وبين غيره من أفراد جامعته، فهو إذا يعلم الإنسان من هو ومن معه، فيتكون من ذلك شعور واحد وروابط واحدة هي ما يسمونه بالإتحاد[1].

نحن نتمنى تربية بناتنا، فان الله تعالى يقول: ﴿**وَلَهُنَّ مِثلُ الّذِي عَلَيهِنَّ بِالمَعرُوفِ**﴾[2] وقوله تعالى: ﴿**إِنّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾[3].إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التي تشرك الرجل والمرأة في التكاليف الدينية والدنيوية. فكان بذلك ترك البنات يفترسهن الجمل تستهويهن الغباوة من الجرم العظيم.كانت نظرة محمـــد عبده للإصلاح التعليمي والتربوي نظرة بارزة، ويرى أنها السبيل لا بد من طرقه حتى نصل للازدهار المرجو عامة ولا سيما الفكر السياسي، فظهر من آراءه حول هذا الموضوع أنه يقصد التعليم المدني والديني على السواء، كما أشار إلى أن يكون الدين أساسا للتربية.

*** أهمية التربية:**

تتضح أهمية لدى الشيخ محمـــد عبده كما ذكرنا في وجوب أن يكون لها السبق والأفضلية على غيرها من الوسائل الأخرى في إصلاح المجتمع وتحقيق استقلاله، وقد وجدت هذه الفكرة في أواخر القرن التاسع عشر تأييدا قويا لها في كتاب فرنسي أصبح الآن منسيا، لكنه أحدث ضجة كبيرة في ذلك الحين، وهو كتاب " سر تفوق الأنجلو سكسون" لديمولان، وهو في هذا المؤلف يرجع أسباب استيلاء الشعوب الأنجلو سكسونية على العالم ووصولهم إلى أعلى درجات القوة والازدهار بين شعوب العالم إلى

[1] محمـــد عبده: الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده، المصدر السابق، ص 169.

[2] سورة البقرة: الآية 228.

[3] سورة الأحزاب : الآية 35.

التربية، حيث كان أسلوب التربية لديهم يرتكز على دعامتين هما: تدريب الإنسان على العيش في العالم الحديث، واحترام حرية الإنسان وتنمية روح المبادرة الفردية لديه[1]. ومن المعروف أن التربية وحدها لا تكفي إلى اللحاق بالأمم المتقدمة، إذ لابد لخلق المناخ الصالح للتربية من الدخول في معارك عديدة ضد ما يعترض هذا المناخ الصالح من العقبات والمعوقات ، كما لابد من تحديد أي أنواع التربية هو الذي يمكننا من اللحاق بالأمم المتقدمة، وهو أمر يتوقف على تحديد ماهية التقدم وارتباط معاييره بالعصر الذي نعيشه، والمهام التي على المجتمع أن ينجزه في هذه المرحلة المحددة من مراحل نموه وتطوره[2].

ومع ذلك فلقد اقتنع محمـــد عبده بأن تقدم المجتمع وارتقائه لا يتحقق إلا بالتربية، وأن التقدم لن يكون ثابتا إلا إذا سار وئيدا أكيدا، ومن هنا نفهم لما أَقْلَعَ محمـــد عبده من الأساليب الثورية التي لم تحقق شيئا، وآثر أسلوبا أبطأ ولكنه أبقى أثرا وهو طريق التربية، وتربية الشعب وتربية القادة، تربية الشعب لفهم الحياة والسير فيها، وتربية القادة لتوجيه الشعب في قرانه ومدنه[3]. فالتربية هي العامل الأساسي والأول لتقدم الشوب ورقيها، وذلك يشمل جميع أفراد المجتمع وطبقاته من الحاكم إلى المحكوم.

وفيما يلي أراء الشيخ محمـــد عبده وما تتضمنه من اتجاهات جديدة حول أهمية التربية وقيمتها:

أ – التربية عامل هام في تحقيق التطور والارتقاء:

أوضح الأستاذ محمـــد عبده " أن ارتقاء الشعوب وتطورها يقاس بما لدى الأمم من معارف وأفكار، فالأمة ذات البسطة في الأفكار والمهارة والمعارف هي الأقوى سلطانا وهي الغالبة على سواها من الأمم، وأشار إلى أن مرجع الارتقاء في عادات الأمة وأخلاقها هو التربية وليس القانون، فالتربية هي التي تنمي وتصلح والقانون هو الذي يحفظ ويحرس، وأن التأخر الحقيقي في البلاد هو عدم سريان روح التربية الشرعية التي تجعل إحساس الإنسان بمنافع بلاده كإحساسه بمنافع نفسه، وشعوره بأضرار وطنه كشعوره بأضرار نفسه وهو يرى أن التربية مفتقدة في مصر منذ عهد محمـــد علي.."[4]. لقد اتبع الشيخ في مسعاً منه لإنهاض مصر أسلوبا قريبا من الأساليب المتبعة اليوم في التخطيط لإنهاض بلده من التخلف ومساعدتها الارتقاء.

---

[1] محـــمد فوزي عبد المقصود: الفكر التربوي لمحمد عبده، المرجع السابق، ص 45.

[2] محـــمد عمارة: الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده، المرجع السابق، ص 155.

[3] محمـــد البهي: الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي، مطبعة مخيمر، القاهرة، 1957، ص 188.

[4] محمـــد فوزي عبد المقصود: الفكر التربوي لمحمد عبده، المرجع نفسه، ص 46.

6- إصلاح جامع الأزهر:

كان ما لاقاه محمـــد عبده في صغره من عقم وتعقيد في طريقة التعليم سبب في أن يبدأ مناهج إصلاحه بالتوجه إلى التعليم ليكون طريقا لإنقاذ المجتمع المصري وبأن إصلاح البرامج التعليمية أساس لإيجاد المسلم الصالح ومن هذا المنطلق قدم مذكرتين أولهما:كانت بعد أن صدر إعلان شيخ الإسلام بالآستانة عن إرادة سنية بإصلاح المدارس والعليم عن السلطان عبد الحميد، والثانية قدمها في القاهرة إلى اللورد كرومر المندوب السامي البريطاني في مصر[1].

أطلق محمـــد عبده على الأزهر إمام بعض خواصه ثلاث ألفاظ: الاصطبل، المارستان، المخروب – لفظ محلي مصري-)، وقد أجاب محمـــد عبده الشيخ محمـــد البحري على جملة له: " أنت قد تعلمت في الأزهر " بقوله: " إذا كان لي حظ من العلم الصحيح الذي تذكر، فإنني لم أحصله إلا بعد أن مكثت عشر سنين أكنس من دماغي ما علق فيه من وساخة الأزهر وهو الآن لم يبلغ ما أريد من النظافة[2]. كان هذا الانطباع الذي يختزنه الشيخ محمـــد عبده بداخله، لذلك ركز الإمام في إصلاح الأزهر في عهد تولي عباس الثاني الخديوي* فاتصل به وحدثه في شأن الأزهر، فاصدر عباس هذا مرسوما يقتضي بغنشاء مجلس لإدارة الأزهر.

توجه الشيخ محمـــد عبده إلى إصلاح الأزهر منذ كان مجاورا فيه، ويتلقى على أستاذه جمال الدين الأفغاني.و شرع في العمل لذلك أيام الخديوي توفيق.و لكنه لم يستطع في ذلك الحين أن يدخل إلا بعض الإصلاحات الثانوية.ووجد محمـــد عبده، منذ البداية، في أكثر شيوخ الأزهر خصوما ناصبوه العداء، وأدرك حينئذ أنه لن يستطيع السير في حركة الإصلاح دون أن يظفر بتأييد الخديوي والحكومة. ولكن الخديوي لم يكن ليديه استعداد لفهم التجديد المنشود، فلم ينظر إلى جهود الشيخ محمـــد عبده بعين الرعاية والتقدير.و لما جاء الخديوي عباس الثاني، وكان قد تربى في أوروبا، استبشر الناس بولايته

---

[1] محمود بن صادق الجمال: اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر (في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري)، ج1، ط1، ، دار عالم الكتب، المملكة العربية السعودية،1994، ص 245.

[2] غازي التوبة: الفكر الإسلامي المعاصر، المرجع سابق، ص 41.

* عباس حلمي الثاني، الخديوي الإسكندرية، 14 يوليه - 1874 جنيف ، سويسرا ، 19 ديسمبر . 1944 سابع حكام مصر من أسرة محمد على .ابن توفيق باشا ابن الخديوي إسماعيل ابن إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا .نصب خديوي على مصر في 8 يناير 1892 قبل يوم من وفاة والده المريض منذ ستة أيام، وحكم حتى عزله الإنجليز في 10 سبتمبر .1914 في عهده حصلت حادثة دنشواي وكان آخر حكام مصر الذين لقبوا بلقب خديوي.

ورأوا فيها فاتحة عهد جديد وتقدم الشيخ محمـــد عبده إلى الخديوي عباس وكاشفه بجملة رأيه في الأزهر، ورغبته في إصلاحه وتحويله من الحال التي كان عليها[1]. إن الصعوبة التي لقاها محمـــد عبده في صغره في الجانب التعليمي جعلته يتوجه إلى التعليم في حد ذاته لأنه كان السبيل الوحيد لينقذ مجتمعه الذي يعيش فيه، وتوجه إلى إصلاح جامع الأزهر لأنه المنبع الأول للعلوم، ولكنه التقى مع شيوخ الأزهر وكانوا أول خصومه، وبعد ظفره بتأييد الخديوي عباس الثاني سمح له بالبدايات الأولى في إصلاح الأزهر.

توفرت ظروف وعوامل عديدة لتحصر جهود الشيخ التطبيقية في إصلاح الأزهر، ومن هذه الظروف نشأته الأزهرية وما لمسه خلالها من عقم طريقة تعليم الأزهر التي ضاق بها وعدم كفاية وسلامة العلوم التي كانت تدرس فيه، وقد أسمت سياسة الاحتلال التعليمية حيث اقتصدوا نفقات التعليم تحت ستار إصلاح اقتصاد البلاد، وكذلك وقفهم تأسيس المدارس الابتدائية، وإغلاق المدارس الخاصة، وإلغاء مجانية التعليم، أدى كل هذا إلى أن يركز الشيخ على إصلاحه الأزهر باعتباره الباب الأخير الذي ظل مفتوحا أمام السواد الأعظم من المصريين[2].

يمكن أن نلخص رسالة الأزهر كما تراءت للأستاذ الإمام في الأمور التالية:

1 – أن يكون جامعة بالمعنى الصحيح، يتلقى الطلاب الثقافة الصحيحة التي تعدهم لأن يكونوا رجالا عاملين، فيكون منهم لمصر وللإسلام قضاة ذو نزاهة وأساتذة باحثون وعلماء متخصصون ومرشدون مخلصون، يعملون على بث الآراء الدينية السليمة، والمعاني الأخلاقية الرفيعة، ومكافحة الخرافات، والقضاء على البدع والأباطيل.

2 – كلف الخديوي الشيخ محمـــد عبده أن يضع مشروعا للإصلاح، فشكل الشيخ مجلس إدارة من كبار علماء الأزهر، وجعل هو وصديقه الشيخ عبد الكريم سلمان من أعضائه. وكانت مهمة ذلك المجلس الإشراف على التعليم والتربية في الجامعة الأزهرية.

[1] عثمان أمين: رائد الفكر المصري الإمام محمد عبده، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1996، ص 189.

[2] زكريا سليمان بيومي: التيارات السياسية والاجتماعية بين المجدين والمحافظين، المرجع السابق، ص 102.

3 – سار الشيخ في إصلاحاته أول الأمر بسرعة اغتناماً للفرصة، ولم يلق معارضة من أحد مباشرة، وإن كان قد أشار عليه من وقت إلى آخر بتأجيل بعض المشروعات بحجة التدريج والسير بهوادة.

4 – وجه الشيخ عنايته إلى نظام التدريس والامتحان، فاقترح أن تعقد للطلبة امتحانات سنوية. ولم يكن ذلك النظام معروفا قبل ذلك في الأزهر.و اقترح مشروع كذلك مكافأة الطلبة المتفوقين من بين الممتحنين، والغرض من ذلك هو بث روح التسابق فيهم وترغيبهم في التحصيل.

5– واقترح الشيخ إصلاحا لا يقل عن سابقيه أهمية وأثرا، وهو يقضي بإلغاء دراسة الكتب العقيمة – كالشروح والحواشي والتقارير – التي اعتاد المشايخ تلقينها الطلبة من غير فهم، وكان من شأنها أن تشوش عليهم موضوعات العلوم التي يدرسونها، واستعيض عن ذلك كله بكتب أنفع وأقرب إلى مدارك الطلاب[1]. أراد الشيخ محمـــد عبده أن يون الجامع الأزهر أن يكون جامعة بأتم معنى الكلمة وعلى الطلاب أن يتلقوا الثقافة الصحيحة فيه، فكان أولى الخطوات تشكيل مجلس إدارة من كبار العلماء واعتنى الشيخ بنظامي التدريس والامتحان ووضع امتحانات سنوية لتقييم مستوى الطلبة ووضع مكافآت للطلبة الناجحين والمتفوقين.

إن إصلاح مدرسة الأزهر لابد أن يكون حسب محمـــد عبده بالتدريج في تغيير نظام الدروس مع التركيز على ضرورة التزام الطلبة بالحضور في الدروس كما أنه وجب على كل أستاذ أن يلتزم بتعليم تلاميذه الآداب الدينية لمساعدتهم في التحلي بالأخلاق الحميدة وأن يهتم بفهم التلاميذ لدروسهم وأن يقوموا بتدوين ما فهموه في كتبهم، وهذا إن دل إنما يدل على شيء فإنما يدل على ضرورة إحداث تغييرات في نظام التدريس بالجامع الأزهر[2].

ولما تولى الخديوي عباس الحكم عهد على الشيخ بإعداد تقرير عن التعليم في الأزهر وطرق إصلاحه.و على أثر ذلك تألف " مجلس إدارة الجامع الأزهر لتنظيم قواعد التدريس والأروقة والمرتبات ودرجات العلماء. وتألف المجلس من ستة أعضاء كان الشيخ محمـــد عبده أحدهم عام 1895. وكان الروح المحركة للمجلس.

[1] عثمان أمين: رائد الفكر المصري الإمام محمد عبده، المرجع السابق، ص 191.

[2] محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده،ج1، دار الفضيلة، مصر، ط2، 2006، ص542.

وأثمرت جهوده في الإصلاحات التالية:

1- تنظيم مرتبات الأساتذة في الأزهر وزيادتها.

2- منح كساوى التشريف التي يلبسها العلماء لمن يستحقها.

3- تنظيم الجرايات التي تصرف للمجاورين في الأزهر.

4- إصلاح إدارة الأزهر بإيجاد مكاتب إدارية لمساعدة شيخ الأزهر.

5- تأليف لجنة من ثلاثين عالما لدراسة المناهج المقررة في الأزهر.فأدخلت مواد الحساب والجبر وتاريخ الإسلام والإنشاء وآداب اللغة العربية ومبادئ الهندسة وتقويم البلدان إلى المناهج.

6- إصلاح المكتبة لتسهيل استعمالها.

7- إصلاح طريقة التدريس وقد بدأ الشيخ بنفسه[1].

عن الأزهر وتجديده فقد شن الشيخ هجوما شديدا علي الدراسة فيه، ونادي بإدخال العلوم العصرية، وذلك سعيا لربط علماء الدين بمواكبة العصر، فهو لم يناد بالدراسة الدينية المنفصلة عن الدراسة المدنية بل سعي لتطوير الأزهر لا ليجعل منه جامعة مدنية؛ ولكن ليؤهل خريجيه للتعرف علي العلوم العصرية من منظور إسلامي.

اقترح الشيخ في البداية أن يكون الإصلاح بالتدريج من الأسفل إلى الأعلى، إذ يبدأ بتعليم التلاميذ الأمور البسيطة السهلة القابلة للقبول، ثم يسير بهم نحو الأمور المعقدة عن طريق إدخال العلوم الحديثة التي لا تكون مدرجة في المراحل الأولى من التعليم مثل: الهندسة والحساب والفلسفة... وشرط الشيخ شرطا كان لابد من مراعاته حتى تكون العملية التعليمية مكتملة ألا وهو إجبارية الحضور لجميع الطلبة وإلا سيحرمون من حضور واجتياز الامتحانات النهائية ومنها الطرد من المدرسة.

ظلت التربية والتعليم هي القبلة التي ارتضاها الشيخ، وكان إلى جانب كذلك مقتنعا بضرورة وجود قوة تسانده، و لم يكن قد بقي أمامه سوى كرومر* فتقدم له بلائحة لإصلاح التعليم يرى فيها

[1] علي المحافظة: الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، المرجع سابق، ص 86.

*لورد كرومر إقلين بارنگ، إيرل كرومر الأول كان رجل دولة ودبلوماسي وإداري مستعمرات بريطاني، كان من كبار دعاة التغريب والاستعماريين في العالم الإسلامي وواحد من الذين وضعوا مخطط السياسة التي جرى عليها الاستعمار،وتمثل كتاباته في تقاريره وفي كتابه (مصر

جعل التربية الدينية أساس التعليم في المدارس والكتاتيب، وأن يعلم تاريخ اللغة العربية في المدارس الجهيزية، وكان ذلك معارضا لسياسة الاحتلال التعليمية، وبالتالي فإن كرومر لم يعر هذه اللائحة أي اهتمام. وقد انتقد صاحب المنار الشيخ محمـــد عبده لأنه وثق في عميد الإنجليز وأمل في مساندته للإصلاح، واتهمه بالخيال، ورد الشيخ على ذلك بأنه سار على المثل القائل:" إن لم ينفع لا يضر "[1]. ومن الجدير ذكره أنه وضع أمله الأكبر في دار العلوم لإصلاح الأزهر، بل ذهب إلى القول بإحلالها محل الأزهر، مما تسبب في عداء بينه وبين رجال الأزهر المحافظين.

7 – معالجة الشيخ لقضايا المرأة:

أ – تعليم المرأة:

فيما يتعلق بتعليم المرأة يتحدث الأستاذ الإمام عن واقع الجهل الذي كانت تعيشه المرأة في عصره، وكيف أن النساء قد ضرب بينهن وبين العلم بما يجب عليهن في دينهن ودنياهن بستار لا يدري متى يرفع، ولا يخطر بالبال أن يعلمن عقيدة أو يؤدين فريضة سوى الصوم.و هو ينفي أن يكون هذا الجهل هو سبب العفة والحياء كما كان يزعم خصوم تعليم النساء، ذلك أن ما يحافظن عليه من العفة فإنما هو بحكم العادة وحارس الحياء[2].

كانت المرأة في عصره ممنوعة من بديهيات اليوم كالتعليم والخروج للعمل والمشاركة في الحياة الأساسية والاجتماعية فكانت واقعة تحت عادات قديمة ما أنزل الله بها من سلطان، وينظر إليها على أنها متاع فقط[3].

لكن محمـــد عبده وقف موقف الرافض من هذا النوع من الظلم ونادى بضرورة تعليم المرأة مثلها مثل الرجل، وكان يطمح من وراء ذلك أن تنتفض القلة القليلة من النساء المتعلمات ويساهموا في تكوين

الحديثة) خطة عمل كاملة وأيدلوجيا شاملة للقضاء على مقومات الفكر العربي الإسلامي وتمزيق وحدة العالم الإسلامي, ومقاومة القيم والمفاهيم العربية والإسلامية، ولقد أمضى لورد كرومر في مصر ما لا يقل عن ربع قرن قابضًا على زمام السلطات (1882-1906).

[1] زكريا سليمان بيومي: التيارات السياسية والاجتماعية بين المجدين والمحافظين، المرجع السابق، ص 109.

[2] عبد الرحمن بدوي: الإمام محمـــد عبده والقضايا الإسلامية، المرجع السابق، ص 120.

[3] عبد الرحمن بدوي: الإمام محمد عبده والقضايا الإسلامية، المرجع السابق، ص 121.

جمعية نسائية تقيم مدارس لعليم البنات وتضامن محمـــد عبده في هذه القضية مع تلميذه قاسم أمين واشتركا في تأليف كتاب بعنوان: " تحرير المرأة "[1].

يرى محمـــد عبده أن المرأة لو أنصفت وكانت محل اهتمام من قبل المجتمع وجاز لها الخروج مع الرجل يداً بيد، وعلى حد سواء في مسؤوليات الحياة ودعمها له لضاقت الهوة بينه وبينها ولتحقيق المساواة بينهما دون أي جهد أو عناء، فالمرأة تشكل نصف المجتمع ولا شك في ذلك، وما اهتمامه بهذا النصف إلا لأنه كان يراه شبه ميت، فدعا إلى إيقاظ هذا النصف وإعادة بعثه من جديد[2].نادى الشيخ محمـــد عبده منذ وقت مبكر بحقوق وتعليم المرأة، ودعا إلى تعليمها وهذا نظرا إلى الواقع الذي كانت تعيشه في عصره، ففي وقته المرأة كانت لا تفقه شيئا سوى فريضة الصوم.و منه دعا محمـــد عبده إلى ضرورة تحرير المرأة من الجهل والظلم الذي بات يسيطر على فكرها منذ قرون عديدة، وقام بإدخالها في مجال التعليم والسياسة مثلها مثل الرجل، فلكل منهما دور فعال في بناء المجتمع.

إن محمـــد عبده كان أكثر مسايرة لعصره من غيره كما يبدو من غيره، فنجده قد ذهب بعيدا في الدعوة إلى حرية المرأة، كالمطالبة بحقها في الطلاق، ومنع التعدد إلى درجة أنه ساهم في تأليف كتاب "حري المرأة " الذي كتب فيه فصولا منه مع تلميذه قاسم آمين*.محمـــد عبده دعا إلى تعليم المرأة والنهوض بها، وذلك قبل صدور إعلان الأمم المتحدة بنصف قرن، إيمانا منه بأن تعليم المرأة هو أساس تحقيق الإصلاح الاجتماعي، ولقد كان اهتمامه بتعليم المرأة ناشئا عن عدة عوامل منها ما يتعلق بثقافة الإسلام.

ب- قضية الطلاق:

[1] محـــمد عبده: الأعمال الكاملة،ج1، المصدر السابق، ص 17.

[2] محمـــد فوزي عبد المقصود: الفكر التربوي لمحمد عبده، المرجع السابق، ص 171.

*قاسم أمين (1280 – 1326 ه / 1863 – 1908 م) حقوقي مصري ولد ببلدة طرّة وهي من ضواحي القاهرة، درس بالإسكندرية ثم بالقاهرة، وسافر لإلى بعثة في فرنسا حيث أتم دراسة الحقوق في مونبلييه عام 1885م، كتب عددا من الكتب تدعوا إلى نبذ القديم والتخلي عنه، وانتقد بعض الظواهر الاجتماعية التي لا تروقه، كما شجع الدعوة إلى تقمص سلوكيات وآداب الغرب المخالفة للإسلام، ودعا إلى تحرير المرأة وخاصة من الحجاب، فأثارت دعوته ضجة كبرى في مصر والعالم الإسلامي، وقوبلت أفكاره بالرفض والاستنكار، ورد عليه كثيرون مفندين آراءه، وأشهر آثاره تحرير المرأة، المرأة الجديد ، وفي الكتاب الأخير دافع فيه عن آرائه التي وردت في الكتاب الأول، وساهم في إنشاء الجامعة المصرية.

وفيما يتعلق بتقييد فوضى الطلاق تناول الأستاذ الإمام بحث هذه القضية المهمة في أكثر من أثر من آثاره الفكرية..و وضع سلطة الطلاق في يد القاضي في عدد من الحالات[1]، وأن الطلاق الذي نصّ عليه القرآن هو واحد رجعي دائماً لقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ**﴾[2].

وعندما أراد أن يحدد الطريقة المثلى لتجنب فوضى الطلاق في المجتمع وكثرته، حدد هذه الطريقة في عدد من المواد القانونية المقترحة وهي:

المادة الأولى:

كل زوج يريد أن يطلق زوجته فعليه أن يحضر أمام القاضي الشرعي أو المأذون الذي يقيم غي دائرة اختصاصه ويخبره بالشقاق الذي بينه وبين زوجته.

المادة الثانية:

يجب على القاضي أو المأذون أن يرشد إلى ما ورد في الكتاب والسنة مما يدل على أن الطلاق ممقوت عند الله، وينصحه ويبين له تبعة الأمر الذي سيقدم عليه، ويأمر أن يتورى مدة أسبوع.

المادة الثالثة:

إذا أصر الزوج بعد مضي أسبوع على نية الطلاق،فعلى القاضي أو المأذون أن يبعث حكما من أهل الزوج وحكما من أهل الزوجة أو عدلين من الأجانب إن لم يكن لهما أقارب ليصلحا بينهما[3].

المادة الرابعة:

إذا لم ينجح الحكمان في الإصلاح بين الزوجين فعليهما أن يقدما تقريراً للقاضي أو المأذون، وعند ذلك يأذن المقاضي أو المأذون للزوج في الطلاق.

---

[1] عبد الرحمن بدوي: الإمام محـــمد عبده والقضايا الإسلامية، المرجع السابق، ص 122.

[2] سورة الطلاق : الآية 2.

[3] عبد الرحمن بدوي: الإمام محـــمد عبده والقضايا الإسلامية، المرجع نفسه، ص 124.

المادة الخامسة:

لا يصح الطلاق إلا إذا وقع القاضي أو المأذون، وبحضور شاهدين، ولا يقبل إثباته إلا بوثيقة رسمية[1].

هذه بعض المواد التي الخاصة بالطلاق التي وضعها الشيخ الإمام محمـــد عبده، وقال أن الحكومة إذا أرادت أن تفعل خيرا عليها أن تضع نظاما خاصا للطلاق مثل الذي دعا إليه الشيخ.

يرى الشيخ محمـــد عبده أن إنصاف المرأة والنهوض بها أمر يأمر به الدين الإسلامي، ومنها عوامل لها علاقة بالظروف المترلية التي نشأ فيها هو، فقد عاش الشيخ في أسرة تعاني من تعدد الزوجات وانتشار الخرافات بين نسائها، وتعرضهن للظلم والاستبداد، فرأى في تعليم المرأة وسيلة فعالة للتخلص من هذه العيوب كما كان اجتماعه مع كبار رجال الفكر لدراسة القضايا الاجتماعية والثقافية في البلاد تأثير كبير في توجيه اهتمامه لقضايا المرأة[2] ، ولقد لقبه الجيل اللاحق بنصير المرأة، لكنه ا يكاد يستحق هذا اللقب، فهو لا يقترح مثلا أن تمنح المرأة حقوقا سياسية إلا أنه مع إقراره بأن ما من سبب مبدئي يحول دون ذلك، فهو يعتبر المرأة المصرية بحاجة إلى وقت طويل من التثقيف الفكري قبل أن تصبح جديرة بالاشتراك في الحياة العامة، محمـــد عبده يخاطب الذين لا يزالون يؤمنون بالإسلام، فيستند في كل موقف يتخذه إلى القرآن والشريعة بعد تفسيرهما التفسير الصحيح أو ما يعتبره التفسير الصحيح[3].

.بمعنى إذا وجد نص صريح في القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف عن الحديث عن المرأة فلا مجال للأخذ والرد، بل علينا أن نتقيد بذلك النص مهما كانت نتيجته.

[1] الإمام الشيخ محمد عبده: الأعمال الكاملة، في الكتابات الاجتماعية،ج2.ط1، دار الشروق، القاهرة، 1993، ص 123.

[2] محمد فوزي عبد المقصود: الفكر التربوي لمحمد عبده، المرجع السابق، ص 172.

[3] ألبرت حوراني: الفكر العربي في عصر النهضة 1798 – 1939، المرجع السابق، ص 204.

في إحدى خطب محمـــد عبده بمدارس الجمعية الخيرة الإسلامية أكد على تربية البنات استناداً لقوله تعالى: ﴿ **وَلَهُنَّ مِثلُ الّذِي عَلَيهِنَّ بِالمَعرُوفِ** ﴾[1]، و أيضا قوله تعالى: ﴿**إِنّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ** ﴾[2]، إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التي تشرك الرجل والمرأة في الأمور الدينية والدنيوية، فكان ترك البنات يفترسهن الجهل تستهويهن الغباوة وقلة التعليم لظلم كبير، فكان محمـــد عبده عن الإصلاح الذي خصص جزءاً منه للحديث عن المرأة يكون قد اتضح لنا كما ذكرنا سابقا أن للمرأة حقوقا منحها لها الدين الإسلامي في المجتمع وذلك أنها تمثل نصف المجتمع.

كانت هذه من أبرز النقاط التي ركز عليها الشيخ في الجانب التربوي، فهو أعطى أهمية كبيرة للجانب التربوي مس فيه أبرز النقاط بين فيها الجانب التعليمي والتربوي وكذلك إصلاح جامع الأزهر والمرأة وأحوالها التي كانت تعيش في عصره.

[1] سورة البقرة: الآية 228.

[2] سورة الأحزاب: الآية 35.

II – المبحث الثاني: الإصلاح السياسي في فكر محمـــد عبده.

1- موقف الإمام محمـــد عبده من السياسة:

من المسائل التي ركز عليها الأستاذ الإمام محمـــد عبده في مشروعه الإصلاحي بعد انتهائه من الإصلاح الديني والتربوي هو الجانب السياسي.

وأول ما يتبادر إلى الذهن في موقف الشيخ محمـــد عبده من الناحية السياسية هو مقولته الشهيرة في كتابه عن الإسلام والنصرانية: " أعوذ بالله من السياسة ومن لفظ السياسة.. ومن ساس ويسوس وسائس ومسوس، وأن " السياسة ما دخلت شيئاً إلا أفسدته "، وإن شئت أن تقول أن السياسة تضطهد الفكر أو العلم أو الدين فأنا معك من الشاهدين. ويعد هذا الموقف في نظر المحافظين إساءة بالغة إلى الفكر الشمولي الإسلامي الذي لا يرى فرقا بين ما هو دين وما هو سياسة، ويرى المحافظين أن هذا الموقف لمحمـــد عبده وبين ميله إلى التجديد وموقفه من الحضارة الغربية الموافق لرأي أستاذه جمال الدين والرامي إلى ضرورة الاستفادة منها[1]. فيتضح مما سبق نفر الشيخ من الجانب السياسي وذلك راجع إلى تركيز الأغلبية على الجانب السياسي وإهمالهم لبقية الجوانب الأخرى.

بدأ محمـــد عبده الإصلاح السياسي منذ أن عين عضو بمجلس الشورى سنة 1899، فكان القوة الفعالة في ذلك المجلس أراد أن ينبه الرأي العام حتى يميز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب وما للشعب من حق العدالة على الحكومة[2]. أعوذ بالله من السياسة من لفظها ومعناها وحروفها ومن كل أرض تذكر فيها ومن كل شخص يتكلم أو يتعلم أو يجن أو يعقل فيها، ومن ساس ويسوس وسائس ومسوس، تلك إحدى صرخات الإمام محمـــد عبده الغاضبة ضد السياسة التي قادته إلى السجن والمنفي وقادت وطنه إلي الاحتلال البريطاني عام 1882.

إذ يقول في هذا الصدد بقلم محمـــد رشيد رضا:" وهنالك أمر كنت من دعاته والناس جميعا في عمى عنه، وبعد أن تعلقه ولكنه هو الركن الذي تقوم عليه حياتهم الاجتماعية وما أصابهم من الوهن والضعف والذل إلا بخلو مجتمعهم منه وذلك هو التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب

[1] زكريا سليمان بيومي: التيارات السياسية والاجتماعية بين المجدين والمحافظين،المرجع السابق، ص69.

[2] رحاب العكاوي: أعلام الفكر العربي الإمام محمد عبده في أخباره وأثاره، المرجع السابق، ص 199.

وما للشعب من حق العدالة على الحكومة "[1]. وإن من الأسباب الرئيسية لتخلف الأمة العربية وانحطاطها هو سوء تسيير شؤون الدولة من قبل حكامها وإهمالهم لدور الشعب في إصدار القرارات والقوانين التي تعود عليهم وعلى غيرهم بالنفع، لأن كلا من الحكومة والشعب له حقوق يجب على الآخر مراعاتها.

فالحكام من البشر فهو أيضا يتعرضون للصواب واحتمال وقوعهم في الخطأ، وهذا ما أكده على الإمام محمـــد عبده على لسان رشيد رضا قائلا: " الحاكم إن وجبت طاعته هو من البشر الذين يخطئون وتغلبهم شهواتهم وأنه لا يرد من خطئه ولا يقف طغيان شهوته إلا نصح الأمة له بالقول والفعل[2].

يحاول الشيخ محمـــد عبده من وراء قوله هذا أن يبين لنا أن الحكام هم أيضا من البشر، وهم مثلنا يقعون في الخطأ والزلل وحب الشهوات وهذا ينتج عنه سوء المعاملة مع الشعب، وفي رأيه أن هذا الأخير هو الوحيد القادر على أن يوقف طغيان وأن يصحح الأخطاء عن طريق تقديم النصيحة والتوجيه إلى ما يخدم مصلحة الحاكم والمحكوم.

لقد تميز المشروع الفكري التجديدي لمحمـــد عبده في المجال السياسي بالدعوة إلى مدينة الدولة والحكومة، ونفي السلطة الدينية عن الحاكم، ومناداته بحرية الفكر من قيد التقليد أي أنه اهتم بتحرير العقل المسلم من أسر التقليد، وربطه بالمنابع الإسلامية الصافية[3].

حاول الأستاذ الإمام محمـــد عبده أن يضع تفكير المسلمين في خط انسجام وتوافق مع المكتشفات العلمية وظروف العصر الحديث، وكانت لجهود الشيخ وأفكاره وإصلاحاته أثر بالغ في النهضة الإسلامية، وتأكيده على حرية السياسية كحرية الرأي والانتخاب وجعلها من الحقوق المهمة جدا داخل الدولة، دون نسيان جانب انفتاحه على الحضارة والتطور الغربي.

كما قال محمـــد عبده عن نفسه: " لقد ارتفع صوتي بالدعوة إلى أمرين عظيمين: تحرير الفكر من قيد التقليد، وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف، والرجوع في كسب معارفه الأولى، واعتباره من ضمن موازين العقل البشري التي وضعها الله لترد من شططه وتقلل من خلطه وخطبه لتتم رحمة الله في حفظ نظام العالم الإنساني وأنه على هذا الوجه يعد صديقا للعلم باعثا على البحث في

[1] محـــمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده، المرجع السابق، ص 12.

[2] محـــمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده، المرجع نفسه، ص 13.

[3] يوسف القرضاوي: فقه الأولويات دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة، د ن، الدوحة، د ط، 1994، ص 180.

أسرار الكون، داعيا إلى احترام الحقائق الثابتة، مطالبا بالتعويل عليها في أدب النفس وإصلاح العمل، كل هذا أعده أمرا واحداً.

كما لا ننسى أنه قام بكتابة بعض المقالات السياسية، منها واحدة بعنوان " المستبد العادل " وأخرى بعنوان " آثار محمـــد علي " وثالثة بعنوان " الرجل الكبير في الشرق " ثم كتابات متفرقة عن رفضه للاحتلال الأجنبي وكل ذلك جعل محمـــد عبده يحتل مكانة بارزة في الفكر الإسلامي السياسي ، العربي والمصري خاصة والفكر السياسي المتميز الذي قدم لنا دورا بارزا في الحركة الوطنية[1].

كما تطرق محمـــد عبده إلى فكرة مفادها أنه ينبغي على الأمة أن تكون رقيبة على الحكام وبدون سلطة شعب لا يمكن للعدل أن يقام في الدولة[2]. يجب على الشعب أن يكون حريصا على الحكام وذلك من خلال القرارات التي يتخذونها، والقوانين والدساتير التي يأمرون بها ويعدلونه بها، وذلك في حق شعبهم، ومن هنا يقام العدل في الدولة وتنعم الدولة في ظلهم بالأمن الداخلي والاستقرار ومنه ينج التطور.

أول ما أمر به الإمام محمـــد عبده بإصلاحه في السياسة:

1 – الحاكم:

وضع الشيخ محمـــد عبده بعض الشروط التي يجب أن تتوفر في الحاكم وكانت كالآتي:

أ – يجب على الحاكم أن يكون أصيل الرأي وعالما حازما.

ب – يجب أن يكون على الهمة رفيع المقعد قوي الطبع[3].

ت – يجب أن يكون حاكما عادلا نزيها وشجاعا.

ث – يجب أن يوكل لهذا الحاكم العمل على اتحاد الأمة بالإقناع أو القوة.

ح – يجب على الحاكم أن يختار معاونه في الحكم من أصحاب الصفوية المستنيرة (الإرادة، القوة، الشجاعة..).

[1] يوسف القرضاوي: فقه الأولويات دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة، المرجع نفسه، ص 185.

[2] عبد الكريم بوصفصاف: الفكر العربي الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 353.

[3] جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، العروة الوثقى والثورة التحريرية الكبرى، تحقيق بطرس البستاني، دار العرب، القاهرة، ط3، 1993، ص 104.

ج – يجب على الحاكم أن يقيم العدل الذي يطالبه به القانون والأمة معا، وإن فارق الكتاب والسنة في عمله وجب على الأمة أن تستبدله بغيره[1].

خ – يجب أن يكون الرئيس المطاع او الناصح الأمين وروح المجتمع الإنساني.

د – يجب أن تتوفر الإرادة والقوة باعتبارهما من العناصر المفقودة والنادرة في الحاكم ثم يأتي الإخلاص في العمل[2].

فيما سبق ذكر الشيخ محمـــد عبده أهم الصفات التي يجب أن تتوفر في الحاكم الناجح، وعن طريق هذه الصفات يمكن للحاكم أن يحقق العدل وينشر المساواة في الحقوق والواجبات بين أفراد المجتمع وعلى الساحة السياسية عموما، وفي هذا فإن الشيخ الإمام محمـــد عبده يتفق مع ما ذهب إليه من قبل المفكر نصر الفارابي(870 - 950)*، فنصر الفارابي قدم مجموعة من الشروط أيضا التي يجب أن تكون وتتوفر في الحاكم العدل بين أفراد أمته، وبفضل هذه الشروط يستطيع الحاكم تحقيق المراد الوصول إليه والسير نحو التقدم على الصعيد السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

2 – الحكومة:

إن الحكومة في المجتمع العربي والعام الإسلامي تقوم حسب رأي الشيخ الإمام تقوم على مجموعة من المبادئ والتي من خلالها يمكن التطور وتحقيق النهوض للشعب والدولة وهي كالآتي:

أ – الشورى:

بعد أن أصبح محمـــد عبده عضوا دائما في مجلس شورى القوانين إثر تسلمه منصب الإفتاء للديار المصرية، وكانت أعمال المجلس تأخذ وقتا كبيرا منه، فحدثه محمـــد رشيد رضا وقال: " إن الحكومة المصرية يجب أن تكون أعمالها وقوانينها مؤقتة، فهي عرضة للتغيير " فقال محمـــد عبده : " إن الغرض الأول من العمل في المجلس هو التعاون مع الأعضاء على الجد والاهتمام بالبحث في الأمور العامة

[1] زكريا سليمان بيومي: التيارات السياسية والاجتماعية، المرجع السابق، ص 77.

[2] عثمان أمين : رائد الفكر المصري الإمام محمد عبده، المرجع السابق، ص 200.

*هو أبو النصر محـــمد بن محـــمد بن أوزلغ بن طرخان الفارابي، المؤسس الحقيقي للدراسات الفلسفية في العالم العربي والمنشئ الأول للفلسفة الإسلامية، من مؤلفاته كتاب الحد بالواحدة، كتاب الجوهر وكتاب الزمان.

ومصالح البلاد، وتربية الرأي العام في الأمة ليكون ذلك إعداداً لنفوس طائفة للفضل في الأحكام بالشورى[1]، ففي رأي محمـــد عبده أن الحكومة الإسلامية يجب أن تقوم على مبدأ الشورى وذلك التزاما لما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية لأن الإسلام قد وضع للحكومة إطاراً خاصا يجب أن تقوم وفقه وتلتزم به، فالشورى من أهم الأسس التي يجب أن يقوم عليها الحكم في الإسلام والقرآن والسنة النبوية، ولقد خصص الله تعالى سورة كاملة " للشورى " لقوله:﴿**وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾[2]، كما أمر الله تعالى سيدنا محمـــد عليه الصلاة والسلام بمشاورة أصحابه رضوان الله عليهم في القرارات التي يتخذها في شأن أمته وذلك لقوله تعالى: ﴿**فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾[3]. من خلال الآيات الكريمة نستنتج أن الله تعالى دعا عباده إلى الشورى وضرورة الرجوع إليها في اتخاذ القرارات المتعلقة، فالشورى تعتبر من أهم خصائص النظام السياسي الإسلامي، لأن الشورى السياسية في مجالاتها هي أساس الحكم في الإسلام، كما أن أهمية الشورى في الأمور العامة أو التشريعية أو السياسية فيها إشراك للأمة في العملية السياسية، بما أن الأمة والشعب هما أصحاب السلطة وصاحبا المصلحة الحقيقية.

ب – القانون:

احتل القانون مكانة بارزة عند الشيخ محمـــد عبده، واعتبره في نظره إحدى الأركان الأساسية التي تقوم عليها السياسة، وذلك لما رآه في بلده مصر من ظلم الحكام وسوء تسيير للقوانين الذي دفع إلى تخلف الأمة العربية عامة والمصرية خاصة، وهذا ما أكد عليه الشيخ على لسان محمـــد عمارة فقال: " إنما تستعد البلاد ويستقيم حالها إذا ارتفع فيها شأن القانون، وعلا قدره واحترمه الحاكمون قبل المحكومين، واستعملوا غية الدقة في فهم فصوله وحدوده، والوقوف عند حقائق مغزاه وسهروا لتطبيق أعماله الجزئية والكلية ، عند ذلك تحيا البلاد حياة حقيقية، وتسري فيها روح السعادة[4]. إن المجتمع إذا أراد التطور والتقدم نحو الازدهار فلابد على أفراده من احترام القانون السائد في بلادهم، ويكون ذلك

[1] غازي التوبة: الفكر الإسلامي المعاصر، المرجع السابق، ص 49.

[2] سورة الشورى: الآية 38.

[3] سورة آل عمران: الآية 159.

[4] محـــمد عبده:الأعمال الكاملة الإسلام دين العلم والمدنية، المصدر السابق، ص 303.

من طرف الحكام أولا ثم يأتي الدور على طبقات المجتمع الأخرى، إذ يُعَدّ القانون وسيلة من وسائل الضَّبط الاجتماعي وهو وسيلة أساسيَّة يُعتمَد عليها في المُجتمع لِتنظيم سلوك أفراده حتى ينتشر العدل والمساواة داخل المجتمع الواحد.إن أفضل القوانين وأعظمها حسب محمـــد عبده هو ذلك القانون الذي يصدر عن رأي العام(رأي الشعب والأمة) وهو ذلك القانون الذي يؤسس على مبادئ الشورى[1].

إن هذا القانون في رأي الشيخ محمـــد عبده هو الأفضل والأصلح لبناء الأمة، لأنه يرتكز على رأي الشعب الواحد أولا، وهذا ما يعود على المنفعة العامة وليس المنفعة الخاصة فقط كمنفعة الحاكم مثلا، فيقول الشيخ:" ... يكون جميع الأعمال على اختلافها حينئذ متجه إلى غاية واحدة، هي النفع العمومي المنقسم على كل فرد من أفراد الرعية على التساوي، كل بمقدار عمله،و صاحب الحظ الوافر من السعادة هم العمال والمأمورون وأركان الدولة، لأنهم مصدر الأعمال الكلية التي عليها يدور نظام البلاد، فينالون من الثمرة على مقدار مالهم من الفضل"[2].

إنّ علاقة القانون والمُجتمع مع بعضهما البعض علاقة قوية ومتينة، فلا يُمكِن أنْ يوجد قانون بدون مجتمع والعكس، إذ يوجد ارتباط وثيق بين القانون والمُجتمع، ويتأثّر القانون بالمُجتمع الّذي يتم تطبيقه فيه، كما يُؤثّر القانون بالمُجتمع أيضاً، وأن لكل من الرئيس الحاكم والشعب المحكوم حقوقا وواجبات يقدمونها لبلدهم كما أن تخلف البلاد متوقف وراجع لهم، فإن هم احترموا القوانين وطبقوها كاملة نالوا من ورائها التقدم والازدهار والعيش السعيد والسليم،و إن تمت مخالفتها حدث العكس، كما يسهم في الحفاظ على أمن الدولة إسهاماً كبيراً.

2- موقف محمـــد عبده من الثورة العرابية:

لقد كان محمـــد عبده متأثرا بفكر جمال الدين الأفغاني في أن القوة الحقيقية لأي مجتمع لا يكون لها قيمة حقيقية إلا إذا نبعت من نفس المجتمع، ووجد الشيخ الإمام نفسه مرغما في بعض الأحيان على التدخل في الأحداث السياسية فتكونت وتولدت له علاقة بالقوى السياسية، وقد اتضح ذلك في مواقفه من الثروة العرابية.

[1] عبد الرحمن محمد بدوي، الإمام محمد عبده والقضايا الإسلامية، المرجع السابق، ص 219.

[2] محمـــد عبده: الأعمال الكاملة في الكتابات الاجتماعية، المصدر السابق، ص 310.

في عهد الخديوي توفيق الذي تولى السلطة عام 1296ه / 1879م واصل الاقتصاد تدهوره وتمردت القطاعات المصرية في الجيش، فاندلعت الثورة العرابية عام 1881م مطالبة بإصلاحات كثيرة ، وقوبلت تلك المطالب في البدء بموافقة الخديوي إلا أن مصالح الدول الغربية وخاصة بريطانيا دفعت بها للتدخل واحتلال مصر عام 1299ه / 1882م[1]. فيقول احمد أمين:" ومع الأسف لم يكن مصدر الثورة هذا الحزب الذي يطالب بالمجلس النيابي والحرية الشخصية، ولو كان لاتخذت الثورة وضعا آخر، ولنظر إليها على أنها ثورة الأمة لتحقيق العدل، إنما بدأت الثورة من الحزب العسكري وعلى رأسه العرابي يطالبون بتحقيق المساواة بين الضباط المصريين والضباط الشركسيين، ولكن الثورة اتسعت رويداً رويداً،و زادت مطالب العرابي باشا شيئاً فشيئا، فتزعم أيضا الوطنيين وطلاب المجلس النيابي[2].

ولما بذرت بذرة الثورة العرابية، كان الشيخ محمـــد عبده في تلك الأثناء على رأس الوقائع وإدارة المطبوعات، فكان يهاجم لأنه من أتباع رياض، وكان هو نفسه يشعر بالحرية التامة في نقد الشؤون الاجتماعية والعادات الدينية، لكنه كان يشعر ببعض القيود فيما يمس المسائل السياسية، إما اعترافا بجميل رياض عليه وعلى أستاذه، وإما نزولا عند مقتضيات الوظيفة، حتى كانت الثورة العرابية[3].

ومما لا شك فيه أن جمال الدين الأفغاني كان له دور كبير في الإعداد لهذه الثورة وسانده في ذلك تلاميذه وفي مقدمتهم الشيخ محمـــد عبده حيث أسهموا في تبصير المصريين بواقعهم وأحوالهم وبما ينبغي أن يفعلوه، وكان دلك عن طريق الصحف التي كان الأفغاني وراء تأسيس أغلبها والإشراف عليها وتوجيهها وساعده تلميذه محمـــد عبده فهيئوا الرأي العام لمساندة أية جهود إصلاحية[4].

وعندما اشتغلت الثورة العرابية سنة (1299ه = 1882م) التفّ حولها كثير من الوطنيين، وانضم إليهم الكثير من الأعيان وعلماء الأزهر، واجتمعت حولها جموع الشعب وطوائفه المختلفة، وامتزجت مطالب جنود الجيش بمطالب جموع الشعب والأعيان والعلماء، وانطلقت الصحف تشعل لهيب الثورة، وتثير الجموع، وكان عبد الله النديم* من أكثر الخطباء تحريضًا على الثورة.

---

[1] أحمد الشويخات وآخرون: الموسوعة العربية العالمية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2004، ص 20.

[2] قدري قلعجي: ثلاثة من أعلام الحرية، المرجع السابق، ص 194.

[3] أحمد أمين: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، المرجع السابق، ص 297.

[4] زكريا سليمان بيومي: التيارات السياسية والاجتماعية بين المجدين والمحافظين، المرجع السابق، 81.

*عبد الله بن مصباح بن إبراهيم نديم " النديم " الإدريسي الحسني (1261 ه/ 1842م – 1314 ه/1896) من أدباء مصر وشعرائها وزجاليها ولد في الإسكندرية عام 1261 ه أنشأ الجمعية الخيرية الإسلامية وكتب مقالات كثيرة خطيب الثورة العرابية.

وبالرغم من أن "محمـــد عبده" لم يكن من المتحمسين للتغيير الثوري السريع فإنه انضم إلى المؤيدين للثورة، وأصبح واحدًا من قادتها وزعمائها[1]، فأصبح واحدا من قادتها وزعمائها وقطب من أقطابها، حيث اتصل بالشعب عن طريق التدريس والصحف، وبدأ ينشر تعاليمه عن الحركة الدستورية ومكافحة الاستعمار فقبلها الكثير من أبناء الشعب[2]، والقيام بما في وسعه لتنظيم المقاومة الشعبية، حيث التف حوله كثير من الوطنيين، وانضم إليه الكثير من الأعيان وعلماء الأزهر، واجتمعت حوله جموع الشعب وطوائفه المختلفة، وامتزجت مطالب جنود الجيش بمطالب جموع الشعب والأعيان والعلماء، وانطلقت الصحف تشعل لهيب الثورة، وتثير الجموع، وكان عبد الله النديم من أكثر الخطباء تحريضا على الثورة.

كان محمـــد عبده خطيب جمعية المقاصد الخيرية التي أنشئت في القاهرة سنة 1880م وكان رئيسها الفعلي محمود سامي البارودي*، حيث احتفلت هذه الجمعية مساء 13 فيفري سنة 1882م بالتصديق على المشروع الأساسي لمجلس النواب، وخطب في الاحتفال الشيخ محمـــد عبده خطبة تدل على اتجاهه الفكري للثورة[3]. لم يكن الشيخ محمـــد عبده من الداعمين للتغيير السريع والثورة، إلا أنه انضم إلى المؤيدين لها، فكان أحد قادتها.

مما لا شك فيه أن لمحمـــد عبده موقف تاريخي في الثورة العرابية عام 1881م ، حيث يقول العقاد في كتابه " عبقري الإصلاح محمـــد عبده) أن محمـــد عبده كان ثائراً ولكنه لم يكن عرابيا، وكان يؤيد الثورة العرابية في أمرين:

أولا: تنبيه الرأي العام وجمع كلمته للمطالبة برفع المظالم وإصلاح الحكم وإسناد المناصب الكبرى ووظائف الحكومة عامة إلى المواطنين.

---

[1] سمير حلبي: محمد عبده رائد الإصلاح في العصر الحديث في ذكرى وفاته في 8 من جمادى الأولى 1323ه، https://archive.islamenline.net/?p=8925 بتوقيت 22:45.

[2] إسماعيل أحمد ياغي: محمود شاكر، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، ج2، دار المريخ للنشر، الرياض، 1993، 27.

* محمود سامي البارودي (1255 – 1322 ه / 1839 – 1904) هو شاعر مصري ولد عام 1838م من أسرة مؤسرة لها صلة بأمور الحكم ونشأ طموحا يتبوأ مناصب مهمة بعد ان التحق بالسلك العسكري، وقد ثقف نفسه بالاطلاع على التراث العربي ولا سيما الأدبي فقرأ دواوين الشعراء وحفظ شعرهم وهو في مقتبل عمرهُ، وقد أُعجب بالشعراء المُجدين مثل ابي تمام والبحتري والشريف الرضي والمتنبي وغيرهم، وهو رائد مدرسة البعث والإحياء في الشعر العربي الحديث، وهو أحد زعماء الثورة العرابية وتولى وزارة الحربية ثم رئاسة الوزراء باختيار الثوار له، لقب برب السيف والقلم.

[3] محـــمد صبري: تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلى اليوم، ط1، دار الكتاب المصرية، القاهرة، 1926، ص 208.

ثانيا: التعويل على إنهاض الأمة وإقامة نهضتها على أسس التربوية والتعليم، وإعدادها للحكم النيابي المستقل برغبتها الصادقة وقدرتها على صيانته من عبث الولاة المتسلطين[1].

رغم تأييد محمـــد عبده للثورة العرابية إلا أنه كان يخالف العرابيين في إتباع الخطة التي تؤدي إلى الشطط وتفتح باب التدخل العسكري من جانب الدول الأجنبية كإنجلترا وفرنسا وكان يعيب على العرابيين قصر نظرهم وقلة تبصرهم، ولكن عندما وقعت الواقعة وأصبح الإنجليز على أبواب مصر يدكون حصون الإسكندرية غير محمـــد عبده موقفه، فبعد دخول الإنجليز إلى مصر جرى القبض على العرابيين ومنهم محمـــد عبده وحكم عليه بالنفي خارج مصر، فعاش في بيروت حتى رفع الحضر عنه وعاد إلى مصر عام 1889م[2].

كان محمـــد عبده في بداية الثورة العرابية يختلف عن العرابيين، إذ كان من رأيه أن الحكم الفردي المستنير أجدى على الأمة وأنفع من قيام دستوري في بلد لم يعد الإعداد الكافي لتقبل هذا النظام، خصوصا في بلد يفتقر إلى العلم، ويقل فيه عدد المتعلمين، وكان يرى أن الالتجاء لتحقيق الحكم النيابي قد يجر على البلاد الكثير من الويلات، ومنها الاحتلال الأجنبي لمصر[3].

ولكن رغم رأي محمـــد عبده هذا بالعرابيين وبالرغم من موقفه الموالي للحكومة والمعارض للثوار ومطالبهم فقد التحق في النهاية بثورة عرابي وأصبح يؤكد أحمد أمين سببا من أسبابها إذ قال في هذا الصدد: "إن كان في أول أمرها سبب بعيد... إلا أنه يوم إن حميت النار انقلب الشيخ محمـــد عبده إلى سبب قريب، فلئن اتهم بأنه من زعماء الثورة وحوكم عليها، وكان ذلك لاحقا[4]. كان موقف الإمام محمـــد عبده منذ البدء من الثورة العرابية موقف المعارض، وكان من أنصار التدرج في الإصلاح، فالأمام يرى أن الاهتمام بالتربية والتعليم بضع سنين وأن نحمل الحكومة علي العدل بما تستطيع.. ولو فرض أن البلاد مستعدة لان تشارك الحكومة في إدارة شئونها، فطلب ذلك بالقوة العسكرية غير مشروع.. وأري أن الشغب قد يجر إلى البلاد احتلالا أجنبيا.

[1] عباس محمود العقاد:عبقري الإصلاح محمد عبده، دار النهضة مصر، 1981، ص 134.

[2] عباس محمود العقاد:عبقري الإصلاح محمد عبده، المرجع نفسه، ص 138.

[3] محـــمد محمود السروجي: الفكر السياسي للإمام محمد عبده،الهيئة المصرية العامة لكتاب،1978، ص 108.

[4] مفيدة محـــمد إبراهيم: عصر النهضة العربية بين الحقيقة والوهم، ط1، دار مجدلاوي للنشر، عمان، 1999، ص 289.

وقد ظل محمـــد عبده على موقفه هذا يختلف عن العرابيين إلى أن تولى محمود سامي البارودي رئاسة الوزارة، فانضم إليهم وأصبح من رجالها الأقوياء المدافعين عن مبادئهم، المناهضين للخديوي توفيق وللتدخل الأجنبي،و عندما ضرب الأسطول الإنجليز ميناء الإسكندرية أخذ محمـــد عبده يكتب المقالات الطوال الممتلئة قوة وحماسة داعيا المصريين إلى التطوع في صفوف الجيش، والتبرع بما لديهم من مدخرات دفاعا عن وطنهم وصيانة لكرامتهم[1].

وفي الأخير نجد أن كل مواقف محمـــد عبده من الثورة العرابية وتأييده لها وجهوده فيها باءت بالفشل في سياسته المعتدلة لأسباب كانت في الواقع أسباب الثورة المباشرة التي لخصها حسب قوله: " ولكن دون حال بلوغ تلك الأماني أمور منها منشؤه رياض باشا نفسه وبعض النظار، ومنها ما له علاقة بالجانب الخديوي، ومنها ما سببه امتداد السلطة الأجنبية الجديدة، ومنها نهوض الساخطين لاستعمال ما وجدوا في ذلك من الوسائل لإثارة الفتنة وقلب وزارة رياض باشا"[2]. وأدى فشل الثورة العرابية ووقوع مصر تحت الاحتلال البريطاني وانهيار سياسة الأفغاني الرامية إلى تحرير الشعوب الإسلامية من الاستعمار الغربي إلى أن يود الشيخ لمطالبه بالإصلاح الأخلاقي والتعليمي والديني بوجه عام، وترك السياسة للسياسيين موقنا بأن النتيجة لن تكون في صالح الشعب لو ظل مهملا وترك ما هو عليه حتى لو خرج الاحتلال، وهنا يرى أن تأييده للثورة العرابية كان يحمل وراءه الأمل في الإصلاح لو قدر لهذه الثورة النجاح، أي أن نزعته الإصلاحية كانت تكمن وراء موقفه السياسي[3].

3- موقفه من الدولة العثمانية وفكرة الجامعة الإسلامية:

اقتنع محمـــد عبده في البداية برأي أستاذه جمال الدين وشاركه بحماس في الدعوة لفكرة الجامعة الإسلامية، وصاغ العديد من المقالات في العروة الوثقى التي تقدم العصبية الدينية الجنسية، ورمى دعاة العصبية الجنسية (القومية) بالغفلة وبأنهم أبواق المستعمر الذي يحاول تهوين العصبية الدينية ليقطع الرابطة التي تجمع بين شعوبها، وأكد أن المستعمر من أكثر الناس عصبية للدين فيما تجري عليه سياستهم، وفي مقال آخر بعنوان: " الوحدة الإسلامية " قال: أنه لا جنسية للمسلمين إلا في دينهم، وأن تعدد

[1] مـــحمد محمود السروجي: الفكر السياسي للإمام محمد عبده،المرجع السابق، ص 108.
[2] محمـــد صبري: تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلى اليوم، المرجع السابق، ص 188.
[3] زكريا سليمان بيومي: ،المرجع السابق، ص85.

الملكة عليهم كتعدد الرؤساء في قبيلة واحدة[1]. فموقفه من السلطة العثمانية،و حق الأتراك في أن تستمر سلطتهم على العرب باسم جامعة الدين والملة، فإنه موقف يكشف لنا صفحة أخرى في كتاب فكره القومي، وعن ملامح لفكر عربي قومي يستحق الاستخلاص والتأمل والدراسة على ضوء عصره، وما صاحبه من ظروف وملابسات[2]. يتضح موقف الشيخ الداعم لبقاء السلطة العثمانية، وذلك بحكم الدين والقومية والملة الواحدة تحت شعار الدين الإسلامي والاستمرارية في حكم العرب.

ارتبط موقف الشيخ ارتباطا وثيقا اتجاه الدولة العثمانية التي يعتبر " أن المحافظة عليها ثالثة العقائد بعد الإيمان بالله ورسوله، فإنها وحدها الحافظة لسلطان الدين الكافلة لبقاء حوزته وليس للدين سلطان سواها، وأكد على هذه العقيدة يحيا وعليها يموت"،و يرى البعض أن دعوته البلاد العثمانية بعد ذلك أن تنصرف إلى ترقية نفسها بنفسها من غير مباراة لتركيا في أعقاب عودته من بيروت وزيارته للآستانة، فيرى البعض في ذلك ما يؤكد فتور حماس الشيخ نحو الدولة العثمانية وفكرة الجامعة الإسلامية[3].

نجد أن الشيخ لم يكن من أنصار زوال الخلافة العثمانية، ولكنه كن من أنصار إصلاحها وتجديد شبابها، على أن تقف عند حدود السلطة الروحية التي تلعب دورا في التضامن في التضامن الإسلامي ودفع حركة الترقي الشرقية إلى الأمام، ومحمـــد عبده كان قليل الثقة إلى أبعد الحدود من الأتراك العثمانيين من القيام بهذا الدور بالنسبة للملمين والإسلام، وصديقه بنت يكتب عن رأيه هذا فيقول:" كان الشيخ محمـــد عبده فيها يختص بالخلافة يشاطر كل المسلمين المستنيرين رأيهم في وجوب إصلاحها وتجديدها على قواعد روحية، وقد شرح لي كيف يؤدي حسن استخدام سلطتها على وجه شرعي إلى مساعدة حركة الترقي الأدبي[4].

حصر الشيخ جهوده الإصلاحية في مصر،كما عارض اتجاه المنار للتدخل في السياسة العثمانية وخدمة الدولة العلية منذ عددها الأول، وعلل ذلك ب: أن المسلمين ليس لهم إمام في هذا العصر غير القرآن، وأن الخوض في السياسة العثمانية فتنة يخشى ضررها ولا يرجي نفعها، وأن الناس هنا - يقصد في مصر – لا يحبون أن يسمعوا في السلطان والدولة إلا ما يشتهون، ومصر ليس فيها سياسة،

[1] زكريا سليمان بيومي:المرجع نفسه، ص 86.
[2] ألبرت حوراني:المرجع السابق، ص 222.
[3] زكريا سليمان بيومي:المرجع نفسه، ص 87.
[4] قدري قلعجي: ثلاثة من أعلام الحرية، المرجع السابق، ص 170.

والمسلمون لا ينهضون إلا بالتربية والتعليم فلا تخلط السياسة بمقاصدك الإصلاحية، لئلا تفسدها عليها فإنها ما دخلت في عمل إلا وأفسدته،و مع أنه قد حاول التبرير بأن ذلك لا يتعارض مع الاستمرار في الدعوة لفكرة الجامعة الإسلامية ومن خلال تصوره لها وهو التعاون والاتحاد بين أوطان العالم الإسلامي بعد إصلاحها والنهوض بها[1].

لم يكن هذا الاتجاه كما يرى البعض مغايرا في جوهره للمفهوم الذي طرحه مصطفى كامل* حيث أن تعلق مصطفى كامل بالدولة العثمانية وترويجه لفكرة وحدة الولايات الإسلامية الخاضعة لها وتمسكه بالخلافة الإسلامية كان – في رأي البعض – زواج مصلحة، فالعثمانيون والخديوي هم أصحاب السلطة الشرعية في مصر، والاحتلال صاحب السلطة الفعلية، وكثيرا ما كانت انجلترا تدعي أن وجودها موقوت بعودة البلاد لسلطة الأتراك وقمع الثائرين عليها، وكان مصطفى كامل يستغل هذه الأمور سياسيا في محاول لإجبار الانجليز على الخروج، وهذه كانت رغبة محمـــد عبده وإن اختلف الأسلوب، لكن أسلوب ومنهج مصطفى كامل في الدعوة لفكرته، وصلته بالخديوي ودولة الخلافة،فقد هاجم مصطفى كامل أسلوب محمـــد عبده واتهمه بالمروق من الوطنية لأنه يشايع الانجليز ويتخذهم أعوانا، فضلا عن أنه – أي محمـــد عبده – قد زكى بأسلوبه الاتجاه القومي المعادي للجامعة الإسلامية،في حين استهجن محمـــد عبده أسلوب مصطفى كامل الذي لا يسهم إسهاما فعليا في إعداد المصريين للتحرر[2].

كان الشيخ الأمام محمـــد عبده من أنصار تجديد وإصلاح الخلافة العثمانية وليس بمحوها وإزالتها أو التخلي عنها، فهي القوة الإسلامية الكبرى لوقف الاستعمار الغربي والزحف الانجليزي خاصة نحو مصر، ورغم اختلاف الأسلوب بينه وبين مصطفى كامل إلا أن الهدف كان واحد وهو محاولة القضاء على المستعمر الإنجليزي وبقاء الخلافة العثمانية على رأس السلطة الحاكمة.

---

[1] زكريا سليمان بيومي: التيارات السياسية والاجتماعية بين المجدين والمحافظين،المرجع السابق، ص 87.

* زعيم وطنيّ مصريّ عُرف بنضاله ضدّ الانكليز في مطلع القرن العشرين، شر أوّل كتاب لمصطفى كامل عام 1898 بعنوان المسألة الشرقيّة وهو مرجعٌ رئيسيٌ في الوضع السياسيّ في الشرق في نهاية القرن التاسع عشر ، كان مصطفى كامل من مؤسّسي الجامعة المصريّة وكان يريد أن يسمّيها الجامعة الإسلاميّة.و كان يرى في الدولة العثمانيّة استكمالاً لدولة الخلافة وكان يعتقد أن وجودها كمرجع خير من الاحتلال الأجنبيّ المتمثّل في الوجود الإنكليزيّ في مصر.

[2] زكريا سليمان بيومي: ،المرجع السابق، ص 89.

على أننا لا نتفق مع الرأي القائل بأن دعوة محمـــد عبده – وبالتالي غيره من المصلحين – إلى العودة إلى الإسلام إلى سيرة السلف الصالح قد أدى إلى إيقاظ الوعي بالعروبة وذلك لأن هؤلاء السلف في أغلبهم لم يكونوا من العرب، ولم يكون جنسهم هو السبب في رفعتهم ومكانتهم، كما لا نتفق مع الذين يفسرون اتجاه محمـــد عبده وغيره إلى تقوية اللغة العربية وتجديد الأدب العربي بأنه تعميق للاتجاه نحو العروبة، لأن السيادة باللغة العربية جاءت لكونها لغة القرآن لا لكونها لغة العرب، وبالتالي فإن جذور هذا الاتجاه إسلامية وإن بدت في ثوب عربي قومي[1].

ويبدو أن موقف محمـــد عبده هذا، وجرأته في عرضه على أستاذه جمال الدين، كان مبنيا على فشل جهودهما سويا في محاولة إثارة الدولة العثمانية، على الانجليز، والذي لم يكن ليحدث إلا خلال إثارة الشعوب الإسلامية الخاضعة لاحتلالهم، وكان ذلك كفيلا – من وجهة نظرهما – بتحقيق الوحدة الإسلامية واستقلال شعوبها، لكن تقاعس الدولة العثمانية وزيادة دعاة وأنصار الطورانية – القومية التركية - قد أدى بكليهما إلى طرح تصورهما لوحدة الحكومات الإسلامية مع الحفاظ على الخلافة العثمانية بشرط إصلاحها والاتجاه إلى الإصلاح الداخلي الذي يبدأ بالإصلاح السياسي في رأي الأفغاني، والإصلاح الاجتماعي الذي يسير إلى جانب الإصلاح السياسي في رأي تلميذه[2].

يبدو أن الإصلاحيين جمال الدين الأفغاني وتلميذه الشيخ محمـــد عبده فشلا في تحريض الدولة العثمانية على الاحتلال الانجليزي، وهذا التحريض والإثارة لم ولن يكون إلا يكون إلا بتحريض الشعوب الخاضعة للاستعمار نفسه، وذلك من أجل تحقيق الوحدة الإسلامية واستقلال الشعوب العربية عامة.

ونستطيع القول بأن مجمل مساعي الإصلاح السياسي التي كان يريدها الشيخ محمـــد عبده وتلاميذه في الدعوة إلى لفتح باب الاجتهاد من خلال تحكيم العقل، والانفتاح على ما وصل إليه أمم الغرب من نظم ونظريات دون أن يصدم ذلك بأحكام ونظم الشريعة الإسلامية، ودون التوقف عند حد اجترار معلومات – لا أحكام ومبادئ – لا صلة لها بقضايا العصر وهي أمور لفظها الإسلام بعد تجديده[3].

---

[1] المرجع نفسه ، ص 90.

[2] المرجع نفسه،ص 91.

[3] ألبرت حوراني: الفكر العربي في عصر النهضة 1798 – 1939، المرجع السابق، ص 102.

4- موقف الشيخ من الاحتلال البريطاني في مصر:

أراد الانجليز أن يجدوا مبررا للتدخل فكانت مذبحة الإسكندرية* في 11 حزيران هي السبب الرئيس لدخول الاحتلال البريطاني لمصر، ي قول محمـــد أمين حسونة أن المؤامرة لافتعال هذه المذبحة قد تمت في قصر عابدين[1].

أما عن حقيقة موقف محمـــد عبده من الاحتلال البريطاني لمصر، من حيث الرضا أو عدم الرضا بهذا الاحتلال فلا شك أنه كان ضده، وأنه سعى إلى إن يكون بطريقة خاصة، وذلك لتقريب اليوم الذي يزول فيه الاحتلال، ومن تعليقاته له ومحاوراته وآرائه متناثرة نلمس هذا الموقف منه[2].

الأمر الذي لم يختلف فيه اثنين حول موقف محمـــد عبده وعدائه للاحتلال الانجليزي لمصر، وكراهيته للاحتلال وثقته بزواله، وعمله من أجل حرية البلاد،حيث خلال فترة نفيه زار لندن ودافع فيها عن حق مصر في جلاء الانجليز عنها[3]. فمناهضة محمـــد عبده للنفوذ والاحتلال الانجليزي إبان الثورة الرابية قضية ليس فيها خلاف، فإن الهم الذي يسيطر على البعض فيجعلهم يقولون أن الرجل د غير موقفه هذا بعد فشل الثورة العرابية، إن هذا الوهم في حاجة إلى تبديد، وبالرغم من حديثنا عن دوره في تنظيم العروة الوثقى السري المناهض للانجليز ما يكفي لتبديد هذا الوهم إلا أن المزيد من الحقائق هي أمر مفيد، بل ضروري في إبراز موقفه الوطني بعد فشل العرابيين،حيث أكد الباحثون أنه كان ضد التدخل الأجنبي، وهذا حدث ومصر لم تزل مستقلة وغير محتلة رسميا[4].

وعندما قام برحلته الشهيرة إلى الجزائر وتونس سنة 1903م، سبقته إلى دار المحاكم الفرنسي للجزائر تقارير من بعض الموالين لفرنسا في مصر، تتهمه بأنه يستهدف من خلال رحلته هذه إضعاف

*حادثة شهيرة وقعت في الإسكندرية إبان عهد الخديوي توفيق وتم تدبيرها من قبل بريطانيا وحتى تجد الذريعة لاحتلال مصر، ندما كان الأسطول البريطاني قاب قوسين أو أدنى من سواحل مدينة الإسكندرية، إلا أنه كان يفتقر إلى ذريعة لاحتلال مصر، وإبان تلك الفترة كانت تعيش في مدينة الإسكندرية العديد من الجنسيات الأجنبية، التي كانت تعتبر في حينه أقليات تعيش في مصر، إذ كانت الإسكندرية قبلة لكافة شعوب حوض البحر الأبيض المتوسط،فقام مكاري (مرافق لحمار نقل) من مالطة من رعايا بريطانيا بقتل أحد المصريين، فشب نزاع وسرعان ما تطورت تلك المشاجرة البسيطة إلى أحداث عنف ضد الأوربيين المقيمين في الإسكندرية وقتل فيها حوالي خمسين أوربيا و250 مصري وأصيب خلالها أيضا أحد ضباط الأسطول البريطاني.

[1]قدري قلعجي: ثلاثة من أعلام الحرية، المرجع السابق، ص 216.

[2]مفيدة محمـــد إبراهيم: عصر النهضة العربية بين الحقيقة والوهم، المرجع السابق، ص 334.

[3]عبد الكريم بوصفصاف: الفكر العربي الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 200.

[4]محمد عمارة الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمـــد عبده،ج1، المرجع السابق، ص 200.

نفوذ فرنسا في شمالي إفريقيا، لأنه من أنصار سلطة الاحتلال الانجليزي الذي ينافس الفرنسيين في امتدد النفوذ والاحتلال، فصورة الرجل عند هؤلاء أنه عميل الانجليز، أو على أحسن الفروض مفضل لاحتلالهم على الاحتلال الفرنسي الذي يتدخل في عقيدة المسلمين المحكومين بسلطانه، على عكس موقف الإنجليز وأنه لذلك سيؤلب الجزائريين على الحكم الفرنسي هناك[1].

تتميز أغلب الدعوات الإصلاحية الإسلامية وبخاصة في العصر الحديث بالدعوة للعودة إلى الأصول الأولى للإسلام والمتمثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية، وجهود السلف، ويتصور جناح من المفكرين المسلمين أن ذلك هو النموذج المثالي الذي ينبغي أن يكون عليه العالم الإسلامي أمام زحف الحضارة الغربية، وتعتبر دعوة الشيخ محمـــد عبده من الدعوات الإصلاحية الرائدة التي لم تقف عن حد الدعوة

[1] المرجع نفسه، ص 207.

للعودة إلى الأصول الأولى للإسلام واستلهام منهج السلف الصالح، وإنما حاولت أن تستوعب قضايا العصر وتصبها في قالب إسلامي مميز يمكنها من مواجهة تحدي الحضارة الغربية.لذلك فد رفض محمـــد عبده الاتجاه القائل باقتصار الدعوة للتجديد والإحياء داخل الإسلام ذاته دون مراعاة أو الاهتمام بالمؤثرات الخارجية إدراكا منه لمثاليتها المتمثلة في إهمال التطورات التاريخية وتغير الظروف التي يمر بها المسلمون، وكذلك لكونها تجعل المجتمع الإسلامي منغلقا على نفسه، غير مدرك لأبعاد رسالته في الدعوة الدائمة لدين الله بين شعوب الأرض.و على الرغم من أن نظرة محمـــد عبده للتطور والتغير جعلته يدعو للأخذ عن الحضارة الغربية وفق ميزان إسلامي واضح، إلا أن ذلك لم يكن يعني أنه كان يحمل روحا انهزامية تسلم بقوة الحضارة الغربية وضعف الحضارة الإسلامية حيث كان يدرك أن الحضارة رصيد إنساني ضخم أسهم فيه المسلمون بنصيب وافر ولابد أن يواصل المسلمون استفادتهم من هذا الرصيد ويسعوا للمساهمة فيه بالمزيد ولا ينبغي أن يديروا أظهرهم لهذه الحضارة[1].ومن خلال هذا يتضح أن الشيخ الإمام محمـــد عبده يعتبر عمودا من أعمدة التيار الإسلامي، وأن يشكل الدين الإسلامي أساسا قوميا يمكنه التصدي للاتجاهات الغربية المختلفة التي ظهرت مع النزعات القومية الحديثة،و أن تكون التربية والتعليم أساس الإصلاح في المجتمع الإسلامي عامة.

[1] زكريا سليمان بيومي:المرجع السابق، ص 100.

الفصل الثالث

قراءات تحليلية لمشروع محمـــد عبده

I- المبحث الأول: دراسة نقدية في مشروع محمـــد عبده.

1- نقد الإصلاح الديني.

2- نقد الإصلاح التربوي.

3- نقد الإصلاح السياسي.

II- المبحث الثاني: مشروع الإمام في ميزان التقييم.

1- محمـــد رشيد رضا.

2- محمـــد بن مصطفى بن الخوجة.

I -المبحث الأول: دراسة نقدية في مشروع محمـــد عبده.

1- نقد الإصلاح الديني:

مما لا شك فيه أن المشروع الإصلاحي للشيخ محمـــد عبده قد لقي ترحيبا في العالم العربي الإسلامي عامة والمصري خاصة وقد تأثر به الكثير من المفكرين والإصلاحيين، ولكن هذا لم يمنع الشيخ من التعرض للانتقادات وأنه لم يواجه صعوبات، فالشيخ كغيره من المصلحين تعرض للانتقادات مست مجمل الإصلاحات التي قام بها.

أ – زكي الميلاد:

يعتبر زكي الميلاد من الكتاب والباحثين في الفكر الإسلامي في العصر الحديث، ومن اللذين توجهوا بالنقد لفكر محمـــد عبده وبالأخص "رسالة التوحيد" التي ألفها محمـــد عبده بعد عودته من منفاه والتي اعتبرها الكثير من المفكرين وحتى العامة من الناس أهم رسالة في التجديد الديني وعلم الكلام.

ويرى زكي الميلاد أن " رسالة التوحيد " هي عبارة عن كتاب يتصف بالطرح العام وهي مجرد دروس تثقيفية في العقائد ألقاها محمـــد عبده على طلاب المدرسة السلطانية خلال فترة تواجده في بيروت 1885م، وأهملها بعد ذلك سنوات وأثناء عودته من المنفى فكر في جمعها وإصدارها في كتاب بعد أن أجرى عليها بعض التعديلات.و هذا الكتاب يفتقد إلى التوثيق العلمي والمرجعي وتغيب عنه النظيرات الكلامية المعاصرة ومن المبالغة النظر إليه باعتباره كتابا في تجديد علم الكلام[1]. فالشيخ الإمام كان يسعى من وراء كتابه أن يجدد علم الكلام بعدما إلى التحريف والتخريب، لكن الواقع هو أن الكتاب كان يحتوي على مجموعة من الدروس فقط الخاصة بالعقيدة الإسلامية التي كان تلقى على الطلبة.

وأظهرت الكثير من الكتابات العربية الدارسة لفكر محمـــد عبده أنه كان متأثرا لحد كبير بفكر المعتزلة، وساهم في إحياء مذهبهم العقلي وإعادة الاعتبار له[2]. و هذا ما قال به ألبرت الحوراني في كتابه

[1] زكي الميلاد :من التراث إلى الاجتهاد، الفكر الإسلامي وقضايا الإصلاح والتجديد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2004، ص 95.

[2] المرجع نفسه، ص 96.

الفكر العربي الحديث والمعاصر، فهو يرى لأن الحركة الإسلامية التي رعاها في البدء الخلفاء العباسيون ثم تخلوا عنه وفيما بعد أصبحت عنصرا خامدا في الإسلام، إلى أن عادت وأصبحت منذ أيام محمـــد عبده أحد عناصر الفكر السني الحديث[1].

تأثر الشيخ محمـــد عبده في رأي زكي الميلاد بأفكار المعتزلة في معظم القضايا الدينية، خاصة عند تفسيره للقرآن الكريم بالاعتماد الكامل على منهج العقل الحديث، بالإضافة إلى أنه قدم العقل على النقل في العقيدة الإسلامية عند حدوث الاختلاف بينهما ففكر المعتزلة كان يعتمد على تقديم العقل على النقل، وهذا يثبت أن الشيخ قد ساهم ولو بشكل غير مباشر في نقل فكرهم، لدى الباحثين والمفكرين عبر التاريخ الحديث.

ليس الإصلاح الديني – بأية حال من الأحوال – ثمرة لمنطق تطور الدين الداخلي، فأي تغير في قلب الدين، وأي تحول في حامله الاجتماعي لا يفسر بأسباب دينية قحة، وأن الإصلاح الديني الإسلامي يقوم على النظر إلى هذا الاتجاه،و ينطلق المصلح الديني من إحساس واقعي بالعالم، العالم الذي يعيش فيه بعيدا عن شمس التقدم، عالم خرب بكل مظاهره بما فيها الإسلام بحد ذاته[2]. أي أن الإصلاح الديني لا يعني إحداث تغييرات في الدين بحد ذاته وفي جوهره، فالمصلح الديني انطلق من العالم الذي يعيش فيه في ظل التحولات السياسية والطبقية والثقافية التي كان يعيشها المصلح،و هذا من الأسباب التي دفعت المصلح إلى البحث عن الدين الإسلامي الخالص من الشوائب، والعمل على إرجاعه إلى أصله الأول.

فلقد حاول محمـــد عبده وهو أم المصلحين على الإطلاق أن يلتمس الإجابة على السؤال: كيف نفسر تقدم العلم في غرب لا يعتنق الإسلام ؟فإذا كان الإسلام ألحق شرط التقدم بالعلم في الشرق، فلماذا تقدم العلم في الغرب في ظل غياب الشرط الذي يعتبره ضروريا للشرق ؟.لكن إجابته ظلت أسيرة التدليل أن لا تناقض بين الإسلام والعلم، وأن الغرب مدين للشرق بتطوره العلمي[3].

إن اشتداد وعي التخلف ووعي ضرورة مجابهة أسبابه وضرورة تحيف الإسلام مع الحاضر كل ذلك فرض القراءة الجديدة للإسلام والعودة إلى روحه الأولى، عودة تخدم مهام الحاضر، وبذلك تحولت

[1] ألبرت الحوراني: الفكر العربي الحديث والمعاصر، ترجمة كريم عزقول،دار النهار بيروت،1968، ص 177.
[2] أحمد برقاوي: محاولة في قراءة عصر النهضة- الإصلاح الديني – النزعة القومية، دار الأهالي، دمشق، ط2، 1999، ص 60.
[3] أحمد برقاوي:، المرجع نفسه، ص 64.

حركة الإصلاح الديني إلى تيار ضد المؤسسات والرواسب والتقاليد المعيقة للتقدم[1]. فقد أصبحت الحركة الإصلاحية في الجانب الديني تعبر عن وجود تطلعات جديدة ومنه يمكن القول أن رواد الإصلاح الديني هم مثقفون تاريخيون، وقد عبروا عن مجموعة من المهام التاريخية والاجتماعية التي كانت موجودة داخل مجتمعاتهم فالإصلاح الديني لم يعتمد على الجذور الأساسية فقط بل حاول الاعتماد على جذور جديدة أخذها من الحاضر وضروريات العصر.

وليس من السهل أكثر المآخذ على الشيخ محمـــد عبده فلا عن ذكرها جميعا، وتقدم ذكر بعضها بما يغني عن إعادتها ونذكر منها:

اشتراكه مع أستاذه جمال الدين الأفغاني في المحافل الماسونية ونشاطه فيها وتعاونه معه في نشر مبادئها.فإذا كان الشيخ محمـــد عبده يحتفظ ببعض كتب الماسونية في مترله بخط الأفغاني وقد صودرت أثناء سجنه في مصر، مما يطعن في عقيدة محمـــد عبده ، فكيف يؤمن الماسونية ؟ وهو من العلماء المسلمين ومفسر لكتاب الله تعالى ؟ حسب كتابه الأعمال الكاملة الجزء الأول والجزء الخامس تحت عنوان تفسير القرآن الكريم ؟[2].من الغريب أن جدا أن الشيخ الإمام محمـــد عبده من المصلحين الإسلاميين في الدين والاجتماع والسياسة والتربية ومن المفسرين للقرآن الكريم وكان له شأن كبير في بلده مصر والعالم الإسلامي أن يكون هكذا قد دعم أستاذه فيما يسمى الماسونية.

ب – مصطفى صبري:

يعتبر مصطفى صبري* (1860 – 1945) من المفكرين الذين ثاروا على أفكار الشيخ محمـــد عبده، خاصة في إصلاح جامع الأزهر، ويظهر جليا ذلك في كتابه الذي ألفه تحت عنوان: موقف العقل والعلم من رب العالمين وعبادة المرسلين. بين من خلاله مصطفى صبري أن الحركة الإصلاحية التي قام بها محمـــد عبده في المشرق العربي وعلى الأزهر خاصة زعزعت مكانة الأزهر

[1] فهمي جدعان: أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العصر الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 3 ، 1988، ص 181.

[2] عبد النعيم حسنين: حقيقة جمال الدين الأفغاني، دار الوفاء، القاهرة، ط1، 1998، 122.

*مصطفى صبري من الفقهاء والمتكلمين ولد بمدينة توقاد التي ينتسب إليها، ثم استأذن أباه للسفر إلى) قيصرية (لتلقي العلم، وكانت مشهورة بعلمائها بين مدن الأناضول، وسافر بعدها إلى الأستانة؛ وذلك كله لتحقيق رغبة أبيه الشديدة في أن يُصبِح عالمًا مِن علماء الدِّين.ثم استأذن أباه للسفر إلى القيصرية لتلقي العلم، وكانت مشهورة بعلمائها بين مدن الأناضول، وسافر بعدها إلى الأستانة؛ وذلك كله لتحقيق رغبة أبيه الشديدة في أن يُصبِح عالمًا مِن علماء الدِّين من أهم مؤلفات: موقف العقل والعلم من رب العالمين وعبادة المرسلين في أربع أجزاء.

ونفرت الناس من حوله[1]. وهذا ما أكده قائلا في كتابه: أما النهضة المنسوبة إلى الشيخ محمـــد عبده فخلاصتها أن زعزع الأزهر عن جموده الديني، فقرب الكثير من الأزهريين إلى اللادينيين خطوات، و لم يقرب اللادينيين إلى الدين خطوة[2].

إن مصطفى صبري يرى بأن جهود الشيخ محمـــد عبده التي بذلها في إصلاح جامع الأزهر وذلك بتحرير الفكر من قيود التقليد وفتح باب الاجتهاد والتجديد وذلك من الأخذ من الحضارة الغربية مما وصلت إله من تطور، لم تثمر بثمارها بل قام بهدم أسس وركائز الأساسية التي كن يقوم عليها جامع الأزهر وجعلت المقبلين عليه من الناس أن ينفروا منه ويبتعدوا عن العلوم التي كانت تدرس في الأزهر.

وبحكم أن الشيخ قضى على رجال الدين الموجودين في الأزهر وعوضهم بغيرهم من العلماء والمفكرين الجدد، وهو بهذا قضى بشكل كامل على الدين " التراث " وأعطى الأولوية المطلقة للعلوم الحديثة، وبهذا بدلا من أن يهاجم محمـــد عبده خصمه فرح أنطوان وغيرهم من المفكرين الأوروبيين الذين أرادوا الإساءة للإسلام وأهله، راح يهاجم علماء الدين الذي هو جيشه عن طرق اتهامه لهم بالجمود والتحجر الذي طغى على فكرهم خاصة في مسائل العقيدة وما شابهها[3].

إن الشيخ محمـــد عبده كان عليه أن يجد الحلول المناسبة للإصلاح الذي شمل جميع الميادين التربوية والدينية والسياسية وأحوال مجتمع المصري والمجتمع الإسلام عموما، وكن عليه مساندة وتقديم الدعم لشيوخ الأزهر الذين هم سنده بدلا من نقده لهم،و اعتبر مصطفى صبري أن محمـــد عبده بتأثره بمعلمه جمال الدين الأفغاني كان قد أدخل الماسونية إلى جامع الأزهر، ويدعمه في الرأي يوسف النباهي* إذ يرى أن جمال الدين الأفغاني ومحمـــد عبده اتفقا على إدخال الماسونية إلى الأزهر، وهذه الأخيرة لا تجتمع مع الدين بأي وجه من الوجوه بل هي ترفض الأديان كلها وهي ضد السلطات كلها بما فيها

[1] محمـــد محـــمد حسنين: الإسلام والحضارة الغربية،دار الفرقان، 1985، ص 99.

[2] مصطفى صبري: موقف العقل والعلم من رب العالمين وعبادة المرسلين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1981، ص 57.

[3] محمد محمد حسنين: الإسلام والحضارة الغربية، الرجع السابق، ص 90.

* يوسف النباهي أديب وشاعر صوفي ولد سنة 1849 – 1932 بقرية أجزم شمال فلسطين ونشأ فيها، ثم ارتحل إلى مصر وانتسب إلى الأزهر، وتولى القضاء ثم رحل إلى القسطنطينية، وعين قاضيا،ثم رئيسا للمحكمة، من مؤلفاته:الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية،،انظر عمر رضا كحال، معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1993، ص 146.

السلطة الدينية[1]. وفي هذه الفكرة يتضح أن الشيخ محمـــد عبده قدم وساهم بشكل كبير في تخريب وتدمير الأزهر بدلا من تقديم الدعم والإصلاح والتطوير كم كان يعتقد هو.

2- نقد الإصلاح التربوي:

إن جامع الأزهر هو مدرسة دينية عامة يأتي الناس إليها إما رغبة في تعلم العلوم الدينية رجاء ثواب الآخرة وإما طمعا في امتيازات تمنح لطلاب العلم فيه، ومما يأسف له أنه لا نظام له في دروسه ولا يبال الأساتذة بحضور التلاميذ أو غيابهم، وفهمهم للدروس أو عدمه، وصلاح أخلاقهم أم فسادها، ويتعلمون طرقا من العقائد على منهج يبتعد عن حقيقته أكثر مما يقرب منها ثم يتكلم عن إصلاح الأزهر وأنه لابد أن يكون بتدريج في تغيير نظام الدروس وذلك بزيادة أصناف الكتب لتعديل نظام الامتحان النهائي[2]. وأن أراء محمـــد عبده التي قدمها حول مسألة التربية والتعليم كانت نظرة مثالية غير واقعية فهو عندما ركز على التربية واعتبرها العصا السحرية التي تغير كل شيء وتجعله ايجابي وتجعل الناقص كاملا والمقيد متحررا قد قلل من شأن الجوانب الأخرى في حياة المجتمع وغض النظر عن المشاكل التي لابد للمصلحين أن ينظروا في أمرها ويتعاونوا على حلها كي تنهض البلاد العربية[3].

مما يعاب على الشيخ الإمام محمـــد عبده هو أنه كان يريد إصلاح الأزهر ولكنه من جانب آخر كان قاسيا مع شيوخه، حيث نعت الجامع الأزهر بعبارات لا تليق بمكانته كمصلح حيث شبه الجامع الأزهر بأنه الإسطبل والمارستان والمخروب،و أن التربية التي تلقاها محمـــد عبده في المراحل الأولى في حياته والإيجابيات التي ترتبت عنها فأراد الشيخ الإمام محمـــد عبده أن يعمم ذلك على المجتمع المصر خاصة والمجتمع الإسلامي خاصة مخالفا بذلك أستاذه جمال الين الأفغاني الذي أعطى القيمة للسياسة أكثر من الجوانب الأخرى،على أمل أن يحقق مراده في ذلك وتحق المجتمعات العربية التطور والتقدم وهذا لن يتحقق إلا إذا كان مربوطا بالجانب السياسي والاجتماعي والاقتصادي.

تكلم الشيخ الإمام محمـــد عبده عن تعليم المرأة ثم جاء من بعده مصلحين كانوا تحدثوا أيضا ومن بينهم العلامة عبد الحميد بن باديس والشيخ العلامة البشير الإبراهيمي.

---

[1] محـــمد محـــمد حسنين: الإسلام والحضارة الغربية، المرجع نفسه، ص 94.

[2] محـــمد رشيد رضا ،تاريخ الإمام الشيخ محمد عبده، مرجع سابق، ص 541.

[3] عبد الرحمان بدوي: الإمام محمد عبده والقضايا الإسلامية، المرجع السابق، ص 77.

تعليم المرأة وتربيتها نقطة مهمة جدا تفطن إليها علماء جمعية العلماء المسلمين،و عملوا على تجسيدها لأنهم أدركوا قيمة ما يهتمون به، فكلما كان تكوين المرأة راقيا وبما يتوافق مع الشريعة الإسلامية كانت النتائج المرجوة جيدة، فبتربية وتعليم المرأة يعني تربية وتعليم جيل بأكمله، أم إهمالها وتركها في جهلها وعدم تربيتها وتعليمها، فهو الخطر الذي سيعصف بالمجتمع كله، وانظر ماذا سينتظر من أمة قد شل نصفها فما من أمة خطت لنفسها تاريخه إلا بصنع المرأة والرجل معا.

يقول العلامة عبد الحميد بن باديس في هذا الصدد: " فعلينا أن نكمل النساء تكميلا دينيا، يهيئن للنهوض بالقسم الداخلي من الحياة، وإعداد الكاملين ومساعدتهم على النهوض بالقسم الخارجي منها، وبذلك تنتظم الحياة انتظاما طبيعيا، تبلغ به الإنسانية سعادتها وكمالها[1].

يضرب عبد الحميد بن باديس نموذجا في دور المرأة في التربية بالشيخ محمـــد رشيد رضا حيث يشدد بدور أم رضا في تربيته وتعليمه فيقول: البيت هو المدرسة الأولى والمصنع لتكوين الرجال، فإذا أردنا أن نكون رجالا فعلينا أن نكوِّن أمهات دينيات، ولا سبيل إلى ذلك إلا بتعليم البنات تعليما دينيا وتربتهن تربية إسلامية، وإذا تركناهن على ما هن عليه من الجهل بالدين فمحال أن نرجوا منهن أن يكون لهن عظماء الرجال، وشر من تركهن جاهلات بالدين وإبقاؤهن حيث يربين تربية تفرُهُنَ من الدين أو تحتقره في أعينهن فيصبحن ممسوخات حيث لا يلدن إلا مثلهن[2].

مما سبق يتبين لنا بأن تعليم المرأة أمر ضروري وحيوي، فالمرأة تعد المدرسة الأولى في المجتمع وهي خريجة الأجيال، كما لا يصلح البيت والأسرة داخل المجتمع إلا بها، والعكس فسادها يفسد المجتمع.

يرى الشيخ البشير الإبراهيمي الذي يضيف لنا أمرا مهما وهو تعليم اللغة العربية بالنسبة للبنت المسلمة مسألة أولية لأنها مرتبطة بالشرعية الإسلامية، ذلك لأن اللغة الأجنبية إن حسنت فإنما تحسن بعد اللغة المتصلة بالروح والتاريخ والمقومات الأصلية، فهي بالنسبة للجزائرية ربح، أما رأس المال فهو اللغة العربية، ولأن طبيعة الظروف الفكرية التي فرضتها العادات والتقاليد من جهة، ومن جهة أخرى محدودية

[1] عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من حديث البشير النذير، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1983، ص 16.
[2] مجلة الشهاب: ج2، المطبعة الجزائرية الإسلامية بقسنطينة،نوفمبر 1935، ص 449.

أطوار التعليم التي قد تبلغها البنت بالنسبة إلى تعلمها اللغة الأجنبية، وكل ذلك يجعل من اللغة العربية الوسيلة الأنسب بالدرجة الأولى لتعليم البنات[1].

3- نقد الإصلاح السياسي:

ظهر في هذا المجال مجموعة من المفكرين والباحثين قاموا بتوجيه الانتقادات للشيخ الإمام محمـــد عبده، فالإمام محمـــد عبده صحب أستاذه جمال الدين الأفغاني زمنا طويلا ولكن أسلوب الإصلاح بينهما كان مختلفا فجمال الدين كان يميل إلى الجانب السياسي،بينما كان الشيخ يميل إلى الجانب الديني والتربوي، ولكن هذا الاختلاف بينهما مازال يثير نقاشا بين الإصلاحيين في كل الأزمنة، ومن بين الذين توجهوا بالنقد نذكر:

أ- سيد حسين العفاني:

يعد السيد بن حسين العفاني من المفكرين الذين قاموا بمواجهة فكر محمـــد عبده السياسي وتبيين الأخطاء التي وقع فيها دون أن ينتبه لذلك،إذ يرى حسين العفاني أن الشيخ محمـــد عبده كان على علاقة وطيدة باللورد كرومر هذا الأخير كان بمثابة الموجه الرئيسي لفكر محمـــد عبده وساعده على تقلد عدة مناصب التي استطاع بفضلها أن يحقق مشروعه الإصلاحي على أرض الواقع، لكن اللورد كرومر كان يسعى من وراء ذلك إلى تنفيذ خططه السياسية للقضاء على المجتمعات الشرقية وتفكيك دينها[2]. أي أن الشيخ محمـــد عبده استغل وجود اللورد كرومر علو هرم الحكم السياسي و لم يصل إليه بفضل جهوده، ولكن اللورد كرومر كان من وراء ذلك يستغل هو الآخر الشيخ من أجل محو الهوية الشرقية والقضاء على مجتمعاتها.

لقد ألف اللورد كرومر كتابه " مصر الحديثة " أراد من خلاله إقامة دولة علمانية لا إسلامية ولا دينية ولا صلة لا بالدين الإسلامي على الإطلاق، ومحمـــد عبده كان يهدف إلى الإصلاح الذي ينشده الانجليز ولهذا كان التعاون بين اللورد كرومر ومحمـــد عبده يعني تقديم تنازلات من الثاني إلى الأول، فكان عدوه المشترك هم رجال الدين الذين كانوا ينفرون المحتل والعمل معه في أي صورة من الصور[3].

---

[1] أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي1952 – 1945، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997، س 264.

[2] سيد ابن حسن العفاني، أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، دار الماجد العيري، ط1، 2003 ، 82.

[3] مرجع نفسه، ص 85.

فاللورد من خلال كتابه كان يسعى لتحطيم الدين الإسلامي داخل مصر، بإقامة دولة منفصلة عن الدين تماما " علمانية "و كان العدو المشترك بين اللورد والشيخ الإمام هم رجال الدين الذين كانوا ضد الاستعمار.و بهذا يمكن أن نقول أن الشيخ ترك السياسة لكنها هي ام تتركه بل استغلته واتخذته خادما لها وللانجليز دون أن يشعر ومن حيث لا يدري.

إن الإصلاحات التي نادى بها محمـــد عبده وعمل جاهدا لتحقيقها في المجتمع المصري سهلت الطريق ويسرته أمام اللورد كرومر في تنفيذ خططه السياسية للقضاء على المجتمع، دون أن يجد أمامه أي عائق من العوائق الدينية أو السياسية.بالإضافة إلى هذا لم يكن يرى أي حرج في الاقتباس من القوانين التشريعية الغربية وتطبيقها على المجتمعات العربية، فعند تجول محمـــد عبده في شوارع أوروبا انبهر بحضارتها وثقافتها التي شملت كل المجالات وحجبت عنه نظرته إلى الدين الإسلامي كما أن القوانين التشريعية الأوروبية وا يمكننا تطبيقها على المجتمعات العربية الإسلامية لأن كل بلد له دينه ومعتقداته لابد أن نأخذها بعين الاعتبار ومحمـــد عبده بهذا تجاهل دور الشريعة الإسلامية وما نصت عليه من قواعد وقوانين صالحة لكل زمان ومكان.ووضع الانجليز أكبر خطة للقضاء على الشريعة الإسلامية وهي إنشاء " مجلس الشورى بالقوانين" حيث كان الانجليز يحكمون مصر من خلال هذا المجلس عن طريق محمـــد عيده الذي كان عضوا في هذا المجلس وقدم له خدمة جليلة[1].

.بمعنى آخر أن محمـــد عبده إذا كان قد حاول استغلال تأيد كرومر في تحقيق بعض أغراضه الإصلاحية، فإن كرومر هو الآخر قد أرك أن تأييده له ولزعماء حركة الإصلاح من تلاميذه سيحقق له هدفين رئيسيين أولهما إشغال الرأي العام بما يطرحه على بساط البحث من مسائل وما يثار من مشاكل، والثاني هو تدعيم حجة استمرار الاحتلال لدى الدول الأوروبية في أنه بقائه يعمل على ترقية مصر وإصلاحها.و من هنا يرى المحافظون أن الكسب الذي حققه كرومر من صداقة الشيخ فاق ما كان يطمع الشيخ في تحقيقه من هذه الصداقة.فاللورد كرومر لم يكن صديقا للشيخ بقدر ما كان الشيخ صديقا له[2].

[1] سيد ابن حسن العفاني، أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، مرجع نفسه، ص 86.

[2] زكريا سليمان بيومي: المرجع السابق، ص 82.

في نظر المحافظين قام الشيخ محمـــد عبده بمعارضة الشريعة الإسلامية، فهو برحلته إلى أوروبا وانبهاره بحضارتها حجب الرؤية عن نفسه وعن انتمائه لدينه، فالشريعة الإسلامية بما جاءت به صالحة لكل زمان ومكان.

هذه كانت من أهم الانتقادات التي وجهت إلى محمـــد عبده شملت مشروعه الإصلاحي.

II – المبحث الثاني: مشروع الإمام في ميزان التقييم:

على الرغم من النقد الذي وجه للشيخ الإمام، إلا أن مشروعه الإصلاحي عرف نجاح كبير في العالم العربي، فتبنى أفكاره مجموعة من المفكرين وتبنوا أفكار الشيخ محمـــد عبده سواء على المستوى السياسي أو المستوى الديني التربوي.

ومن بين المفكرين المتأثرين ب الشيخ الإمام:

1 – محمـــد رشيد رضا:

يعتبر رشيد رضا من رواد حركة التجديد والإصلاح في العصر الحديث، ولد قرب طرابلس الشام،و تعلم القراءة الكتابة ثم دخل المدرسة الوطنية الإسلامية، في طرابلس حيث درس بالإضافة إلى العلوم الدينية بعض العلوم الحديثة من منطق ورياضيات وطبيعيات[1]، وتتلمذ على يد عدد من العلماء والأدباء أشهرهم مدير المدرسة الشيخ حسين الجسر (1852 – 1920)*.

التقى بالشيخ محمـــد عبده في طرابلس عام 1894 ثم ارتحل إلى مصر عام 1897، واتصل من جديد بمحمـــد عبده، وأصدر في العام التالي مجلة " المنار " التي حلت محل مجلة " العروة الوثقى " في التجديد الديني والدعوة إلى الجامعة الإسلامية. وقد أوضح أهداف المجلة في افتتاحية العدد الأول منها، ولخص بقوله: " إنما أنشئ المنار للدعوة إلى الإصلاح الإسلامي بجميع أنواعه، ولاسيما الإصلاح الديني بإصلاح التربية والتعليم[2].

ظهر جليا تأثر رشيد رضا بالشيخ محمـــد عبده وذلك من خلا الالتقاء في طرابلس، والاتصال به من جديد عام 1894، وإصدار مجلة المنار في مكان العروة الوثقى. وتشابههما في مجال الإصلاح فمحمـــد رضا من وراء المجلة كان يسعى إلى الإصلاح بجميع أنواعه وخاصة الإصلاح الديني والتربوي والتعليمي، وهذا يظهر التشابه بينهما في مجال الإصلاح.

---

[1] علي المحافظة: المرجع السابق، ص 88.

* ولد بطرابلس الشام. وفيها حصّل العلوم امتاز بين علماء الدين بالنظر في العلوم الدينية والعصرية،و لهذا الغرض أنشأ المدرسة الوطنية وأدارها، أنشأ جريدة طرابلس، من مؤلفاته: نزهة الفكر في المناقب، الشيخ محمد الجسر، الرسالة الحميدية في حقيقة الديانة الإسلامية وأحقية الشريعة المحمدية، سيرة مذهب الدين، أنظر: همي جدعان، أسس التقدم عن مفكري الإسلام،دار الشروق، بيروتط3، 1988،ص ص 585 – 586.

[2] علي المحافظة: المرجع نفسه، ص 89.

ألف رشيد رضا مجموعة من المؤلفات في مسار حياته، لخصت اتجاهه وأبرزته في الإصلاح الديني والتربوي والتعليمي ومن بينها نذكر:

1- التفسير المختصر المفيد.

2- تاريخ الأستاذ الإمام محمـــد عبده، وهو في ثلاثة أجزاء.

3- نداء للجنس اللطيف (حقوق النساء في الإسلام).

4- الوحي المحمـــدي.

5- مناسك الحج وأحكامه وحكمه.

تعد جريدة العروة الوثقى التي أصدرها جمال الدين الأفغاني ومحمـــد عبده العامل الأساسي في توجيه فكر رشيد رضا، حيث ساعدت هذه الجريدة على تغيير مجرى فكره ووجهته إلى وجه جديد وأطلعته على حقيقة العالم الإسلامي المتخلف عن الركب الحضاري الفارق في الجمود والتحجر، وبينت له ما بثه أعداء الإسلام من نيات غادرة بهذا الدين وما ألصقوه فيه من مفتريات،لذا صمم على إصدار مجلة المنار لتحل محل جريدة العروة الوثقى وتسد الفراغ الذي تركته هذه الأخيرة منذ ثلاث سنوات[1].

أثرت جريدة العروة الوثقى بشكل كبير في فكر رشيد رضا، حيث غيرت نظرته إلى العالم العرب وكشفت عن الحقيقة التي كان يجهلها وبفضلها تأثره بأستاذه وسانده في مشروعه الإصلاحي.

هذا ما أكده رشيد رضا قائلا: " ثم اتفق لي ما كنت أقلب في أوراق والدي رحمه الله فرأيت عددين من جريدة العروة فقرأتها بشوق ولذة، ففعلا في نفسي فعل السحر طفقت أبحث عن سائر الأعداد فوجدت بعضها عند والدي ووجدت الباقي عند أستاذي حسن الطرابلسي، فاستخدمت الجميع وقرأته المرة بعد المرة، فانتقلت بعد ذك إلى طريق جديد في فهم الدين الإسلام، فهو ليس روحانيا أخراويا فقط بل هو دين روحاني جسماني أخروي دنيوي...[2].

باطلاع رشيد رضا على جريدة العروة الوثقى وما احتوته من المضامين والمعلومات، أصبح رشيد رضا متتابعا لكل أعداد الجريدة، حتى غير نظرته إلى الدين الإسلامي واطلع على الخبايا التي لم يكن

[1] محمـــد رجب البيومي، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، دار القلم، دمشق، ط1، 1995، ص 243.

[2] محمـــد رشيد رضا،تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، دار الفضيلة،ط 2، ج1، 2006، ص 85.

يعرفها والتي كان يتخبط فيها الدين الإسلامي،و أوضح أن الدين الإسلامي يجمع بين الأمور الدنيوية والدينية معا ولا يفصل بينهما كما يعتقد البعض.

تأثر رشيد رضا بأفكار محمـــد عبده الإصلاحية:

تأثر رشيد رضا بالشيخ محمـــد عبده وليتم ما بدأه حيث ساع على نشر أفكاره والمبادئ التي كان عليها محمـــد عبده، وحاول تطبيق ذلك على المجتمع الذي كان يعيش فيه.

أ- الإصلاح الديني:

سار رشيد رضا على خطى أستاذه في رفض التقليد والدعوة إلى التجديد الفكري، إذ يرى بأن الجمود والتقليد شرّان ولكنه كلن يعتبر خطرهما أشد من ذي قبل، كما قام بفتح باب الاجتهاد والاستفادة من علوم وفنون الحضارة الأوروبية لأن أوروبا نفسها لم تتقدم إلا بفضل ما تعلمته من المسلمين، وقال أيضا بضرورة العودة إلى الصراط المستقيم الذي نهجه السلف الصالح الذين كانوا يستفيدون بالقرآن الكريم والسنة النبوية قبل انتشار البدع والخرافات في الدين[1]. فرشيد رضا استند في الإصلاح الديني على ما جاء به أستاذه محمـــد عبده من قبل و لم يأت بأي جديد فقلد الأستاذ الإمام وتأليفه لمجلة المنار خير دليل على ذلك.

ب - الإصلاح التربوي :

قام رشيد رضا بما قام به أستاذه الإمام محمـــد عبده في الجانب التربوي، فقام رشي رضا مناديا بإصلاح نظام التربية والتعليم إذ وجّه اهتمامه بشكل خاص إلى الأزهر، مطالبا بإصلاح نظام التعليم فيه، متمما بذلك ما بدأ به الأستاذ محمـــد عبده،و قال في هذا الصدد: " نطلب من مشيخة الأزهر إصلاح طريقة التعليم ليقرب التحصيل على الطلاب، فيخرج لنا كل سنة من المجاورين المعدودين بالألوف ومئات وعشرات من المرشدين والوعّاظ والمعلمين للدين والآداب[2]. و بحكم أن التربية والتعليم متلازمان

[1] ماجد فخري: تاريخ الفلسفة الإسلامية من القرن العشرين حتى يومنا هذا، دار المشرق، بيروت، ط2، 2000، ص 529.
[2] علي المحافظة: المرجع السابق، ص 93.

ولا يتم أي عنصر إلا بوجود الثاني، والتربية حسبه تنقسم إلى ثلاثة وهي: تربية النفس، تربية العقل، تربية الجسم،و العقل هو عين العلم[1].

وقال رشيد رضا بأن إصلاح الأزهر لا يقتصر عل تطوير وتحسين أساليب التعليم فيه، وإنما يقتضي تدريس العلوم العصرية فيه، فيقول:" ونتيجة هذا كله إن الإصلاح الإسلامي يتوقف قبل كل شيء على إقناع العلماء ورجال الدين بأن العلوم الرياضية والطبيعية التي هي محور الثروة والقوة والعزة فهي يجب أن تعلم مع الدين.و أشار في هذا إلى دعوة الشيخ محمـــد عبده في ضرورة التخصص في التعليم القضائي في الأزهر[2].

اعتمد رشيد رضا على نفس المبادئ التي نادى بها الشيخ محمـــد عبده في مشروعه الإصلاحي ويظهر ذلك جليا في الإصلاح التربوي والتعليمي، حيث يظهر تشابه بينهما، وأن التربية هي أساس قوام الأمة والمجتمع.و ظ رشيد رضا التلميذ المطيع لأستاذه محمـــد عبده، وعرف بآرائه الإصلاحية من خلال نشره مجموعة من المؤلفات كان أبرزها " محمـــد رشيد رضا: محمـــد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمـــد عبده ".

2 – محمـــد بن مصطفى بن الخوجة (1865 – 1915):

محمـــد بن مصطفى بن الخوجة (1865 – 1915)*مفكر ومن علماء الجزائر، كان من دعاة الإصلاح والتجديد في العصر الحديث، نادى مثل غيره من مفكري العلم العربي إلى ضرورة إحداث نهضة في المجتمعات العربية بصفة عامة والمجتمع الجزائري خاصة متأثرا بالشيخ الإمام محمـــد عبده.

لدى محمـــد مصطفى بن الخوجة مواقف معروفة ضد الاستعمار الفرنسي ومحاربة البدع في الجزائر، ويعد مصطفى بن الخوجة من أوائل تلامذة الشيخ الإمام محمـــد عبده، الذي كان له مذهبه

[1] محـــمد رشيد رضا: مجلة المنار، المجلد الأول، ط2، ص 61.

[2] علي المحافظة: المرجع السابق،ص 94.

* محـــمد بن مصطفى الخوجة الجزائري: ولد (1865 – 1915)تلقى تعليمه في مدينة الجزائر واتصل بالإمام محمد عبده، وتأثر به وبفكره، قام بنشر الأفكار الإصلاحية ومحاربة البدع والخرافات في المجتمع الجزائري، عمل في جريدة المبشر وكانت له مجموعة من المؤلفات أبرزها: الاكتراث في حقوق الإناث،إقامة البراهين العظام على نفي التعصب الديني في الإسلام.انظر: خير الدين الزركيلي، الأعلام قاموس تراجيم، دار العلم للملايين،بيروت، ط15، ج7، 2002، 101.

الإصلاحي خارج مصر، كان محبا لأستاذه الشيخ محمـــد عبده، وهو الذي أدخل مذهبه إلى الجزائر وعرف به، وقال بأن التمسك بالدين الإسلامي هو السبل للخلاص من الاستعمار.

كان لمصطفى بن الخوجة دور في نشر أفكار محمـــد عبده الإصلاحية في داخل المجتمع الجزائري وذلك راجع إلى شدة تأثره بالشيخ الإمام محمـــد عبده لما من أكار ايجابية في مشروعه الإصلاحي حسب رأيه، وكان مصطفى بن الخوجة يتحرك فكريا في دائرة محمـــد عبده، وهو الذي ساعد على إدخال مجمل أفكار الإصلاحية إلى الجزائر ما كان ولوعا بقراءة الكتب العصرية المشرقية وعرف به وبأستاذه الأفغاني وكان يع الشرق، الشرقيين وكأنه عاشرهم[1].

كان لمحمـــد مصطفى بن الخوجة آراء إصلاحية متأثرا بالشيخ الإمام محمـــد عبده وظهر ذلك بشكل كبير بفكر محمـــد عبده وساعد على نشر أفكاره الإصلاحية وبعض مبادئه وحاول تطبيقها داخل المجتمع الجزائري ونذكر ذلك في النقاط التالية:

أ– الإصلاح الديني:

نادى مصطفى بن الخوجة في إصلاحه الديني بنفس المبادئ التي نادى بها محمـــد عبده سابقا، وقد أل كتابا في هذا الشأن بعنوان: " إقامة البراهين العظام في نفي التعصب الديني في الإسلام "، وكان ذلك سنة 1901 وكان يهدف من وراء تأليفه لهذا الكتاب إلى الحث على ضرورة التخلي عن العقلية المتحجرة والجمود والجهل الذي طغى على عقول الشعب الجزائري على وجه الخصوص، ودعا المصلحين إلى تولي أمرهم في المجتمع والذي يمثل في الإصلاح والدعوة إلى النهوض وذلك عن طريق العودة إلى القيم والتعاليم الإسلامية والتخلي عن كل ما هو زائد ومبتدع لا علاقة له بالأصل[2]. و من هنا يلخص مصطفى بن الخوجة أن العودة والتمسك بالدين الإسلامي ضرورة حتمية للتخلص من قيود التقليد والدعوة إلى الاجتهاد والذي يعد السبب الأول لمواكبة الحضارة الأوروبية والغرب وهنا يلاحظ تشابه بين مصطفى بن الخوجة والشيخ محمـــد عبده في الانطلاق من الإصلاح الديني أولا.

ب - الإصلاح التربوي :

[1] فهمي جدعان:المرجع السابق، ص 466.

[2] أبو قاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي،دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، ج7، 1998، ص 162.

كما كان له جانب في الإصلاح التربوي، حيث اهتم مصطفى بن الخوجة بالقضايا التربوية داخل المجتمع الجزائري وقضايا المرأة أيضا متأثرا بالشيخ الإمام محمـــد عبده.

ألف مصطفى بن الخوجة كتابين في هذا المجال وهما: اللباب في أحكام الزينة ولباس الاحتجاب سنة 1901م. والكتاب الثاني بعنوان الاكتراث في حقوق الإناث، سنة 1985م[1].

ألف مصطفى بن الخوجة كتب حول شأن المرأة داخل المجتمع الجزائري لما رآه من جمود وطغيان الجهل في فكر المرأة، وذلك بسبب جهلها للعديد من الأمور الدينية،فحاول إبراز دور المرأة والمكانة التي تحتلها في الإسلام، ونادى بضرورة تعليمها لكي تستقل من الجهل والجمود الفكري.

يرى مصطفى بن الخوجة أن السبيل الرئيسي لرقي الهيئة الاجتماعية بأكملها رجالا ونساءاً هو طلب العلم لأنه فريضة على كل مسلم ومسلمة، والعلم هو أكمل مهذب وأجمل مؤدب لنفوس الأمم والمعدل للطباع والشيم[2].

استوحى مصطفى بن الخوجة فكره الإصلاحي من الشيخ الإمام محمـــد عبده خاصة في دعوته إلى ضرورة تحرير المرأة من قيود التقليد والجمود الذي تعرضت له إبان وجود الاستعمار واستصغار المرأة الجزائرية وحرمانها من طلب العلم وهي تعد المدرسة الأولى في المجتمع والسير بها نحو التعليم ولها حق مثل حق الرجل فكلاهما يكمل الآخر في المجتمع.

في الكتاب الثاني " اللباب في أحكام الزينة ولباس الاحتجاب " عرض فيه أصول وقواعد الزينة، وتطرق كذا إلى التحدث عن اللباس المفروض على المرأة المسلمة بصفة عامة[3].

تطرق أيضا في هذا الجانب إلى معالجة قضية تعدد الزوجات في المجتمع الجزائري فكان موقفه معارضا لهذا التعدد ودافع عن هذا المنع بدلائل مسلّم بها، وذكر ما يجب على الزوجين اتجاه بعضهما البعض واعتمد في تأكيد رأيه على ورد في القرآن الكريم،و نصح كذلك بعد الطلاق بين الزوجين إلى الضرورة القصوى[4]، تطرق مصطفى بن الخوجة إلى مسألة تعدد الزوجات والطلاق ودور الزوجين اتجاه

[1] فهمي جدعان: أسس التقدم عند مفكري الإسلام، المرجع السابق، ص 467.
[2] فهمي جدعان: المرجع السابق، ص 468.
[3] أبو قاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 185.
[4] أبو قاسم سعد الله: مرجع نفسه، ص 187.

بعضهما البعض وكان هذا ما تطرق إليه الأستاذ الإمام محمـــد عبده سابقا، وكانت مرجعيتهما في هذا الشأن القرآن الكريم والسنة النبوية. وهنا يظهر لنا مدى تأثر فكر مصطفى بن الخوجة بفكر الأستاذ الإمام محمـــد عبده، وتبنيه لأفكار بشكل واضح وكبير وقد ساهم في نقل مبادئه الإصلاحية بشكل كبير في أنحاء الجزائر.

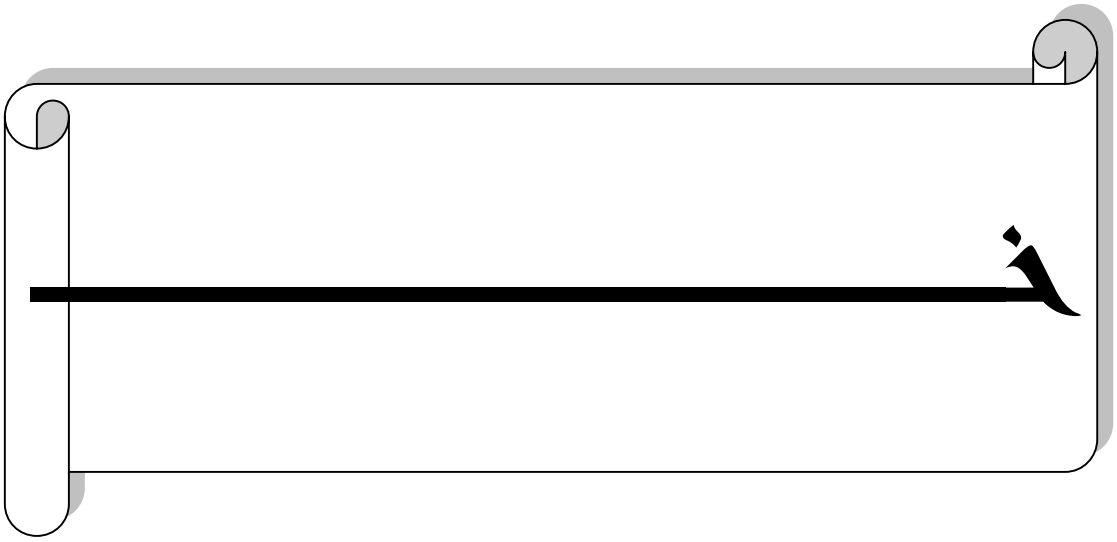

خاتمة

الحمد لله حمدا كثيرا مباركا فيه، لقد قادتنا هذه الدراسة إلى استخلاص عدة نتائج من أهمها:

- كانت حركة الشيخ الإصلاحية في المقام الأول دينية وتربوية.

- كما استخلصنا انتقاد الشيخ للتقليد والخرافات والبدع التي طالت المجتمعات العربية على جميع المستويات الدينية والاجتماعية والتربوية.

- أن الشيخ الإمام محمـــد عبده من أبرز رواد الحركة الإصلاحية في مصر والعالم العربي والإسلامي حاله كحال الذين سبقوه من المصلحين.

- دعوة الشيخ إلى إعمال العقل والرؤية والتأمل في كل ما يحيط بالإنسان، والتزود بالمعارف والعلم.

- من خلال ما قدمه الشيخ نرى دعوته إلى الإصلاح والنهوض والتنوير والتطور.أسسها التربية ومنهجها الإصلاح الديني والمجتمع والارتقاء به.

- تأثر الشيخ الإمام محمـــد عبده بمعلمه جمال الدين الأفغاني وحمله للواء شعلة الإصلاح وتطبيقه للمشروع الإصلاحي.

- إصلاح الإمام لمسجد الأزهر من الجمود، وطريقة التدريس التي كانت تمارس فيه من طرف شيوخه، ومحاولته جاهدا لتحقيق هذه الغايات.

- ترك الشيخ لمجموعة من الثروة العلمية والفكرية تمثلت في مجموعة من المجلدات والكتب والمقلات مثل رسالة التوحيد والإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية،و مجلة العروة الوثقى التي ألفها مع أستاذه جمال الدين الأفغاني.

- كان للشيخ نظريات ومواقف من القرآن الكريم ومن نبوة الرسول عليه الصلاة والسلام، ودفاعه عن اللغة العربية الأم وحمايتها من طمس المستعمر البريطاني.

- العودة إلى الفكر الإسلامي الصحيح ومنهج السلف الصالح والاستفادة من تراث الأجداد دون التقليد الأعمى وقيامه بإصلاح مختلف المؤسسات العلمية والحكومية والتعليمية.

- كانت اجتهاداته وفتاويه واضحة ومعبرة عن مشروعه الإصلاحي الذي كان بصدد تطبيقه.

- تميزه عن كوكبة المجددين وذلك راجع إلى تركيزه على العقل ومكانته في العقيدة الإسلامية، كما تميزت حياته بالنضال والاجتهاد والعلم والتضحية في معالم فكره الإصلاحي وذلك طيلة 57 سنة من العطاء.

- بذل قصارى جهده في المجال التربوي والتعليمي، واستمر في ذلك وصبر طيلة حياته.

- اهتمام الشيخ محمـــد عبده بالتربية والتعلم، وكان لا يدع فرصة تمر إلا اغتنمها ليقدم فيها اقتراحا أو لائحة لإصلاح التعليم وإيجاد التربية الإسلامية الصحيحة.

- الشيخ محمـــد عبده كما يقول جاك بيرك: يبقى منه روحه وطريقته في التفكير، ومآثره العقلانية وجرأته في قول الحق. "

- نضال الشيخ في الكثير من القضايا الاجتماعية ولعلى أبرزها نضاله من أجل المرأة، فهو من نادى بتعليم المرأة وقضايا تقييد الطلاق، وتعدد الزوجات الأمر الذي هو غير مسموح به بقدر ما هو ممنوع.

- كان للشيخ مواقفه السياسية أيضا، إذ كان له باع في المسيرة السياسية الوطنية، بالاشتراك في التنظيمات السرية التي نظمها أستاذه الأفغاني والانضمام إلى الحزب الوطني الحر، ودفع ثمن ذلك العزل من التدريس والنفي.

- كان يرى أن الإصلاح يون عن طريق نشر العلم بين أفراد الشعب والتدرج في الحكم.

- موقفه من الثورة العرابية ومفهومه للوطنية وحرصه على تأكيد الوحدة الوطنية بين كافة أفراد الأمة وطوائفها.

في نهاية بحثنا هذا لابد من الاعتراف بأن الشيخ الإمام محمـــد عبده كان يعمل بجد وببذل جهوده في الإصلاح، وبحث بهذا الحجم لا يمكن أن يحيط بكامل ما قدمه الشيخ من أعمال ومبادئ ومواقف خلال حياته، وعملنا هذا محاولة فقط لتقريب ما لا يزال يستحق أكثر من بحث أكاديمي أو دراسة،

وحظي الشيخ أيضا بنصيب من التقدير في العام الغربي، بوجود ركن كامل في جامعة باريس يضم كل ما قدمه الشيخ وما أنتجه من مؤلفات وكتب ومجلات، وينظر إليه الغرب على أنه نابغة زمانه، وأفكاره ومبادئه ومواقفه بالطبع لم تمت، ولذلك حرصوا على ما تبقى منه فكرا ومنهجا، وأن مدرسته لا تقل شأنا عن المدارس اليونانية الكبيرة أمثال سقراط وأرسطو.

قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم.

الحديث النبوي الشريف.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

1- عبده محمـــد: الأعمال الكاملة في تفسير القرآن الكريم، تح.تق: محمـــد عمارة، ج1، ط1، دار الشروق، بيروت، لبنان، 1993.

2- عبده محمـــد: الأعمال الكاملة للشيخ محمـــد عبده،الإصلاح الفكري والتربوي والإلهيات، تح تق، محمـــد عمارة،ج3، دار الشروق، بيروت، القاهرة،1993.

3- عبده محمـــد: الأعمال الكاملة، في الكتابات الاجتماعية،ج2.ط1، دار الشروق، القاهرة، 1993.

4- عبده محمـــد: رسالة التوحيد، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1994.

قائمة المراجع:

1- الإبراهيمي أحمد طالب: آثار الإمام محمـــد البشير الإبراهيمي1952 – 1945، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997

2- ابن حسن العفاني سيد ، أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، دار الماجد العيري، ط1، 2003.

3- أحمد صلاح زكي: أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث، مركز الدراسات العربية، القاهرة،ط1، 2001.

4- الأفغاني جمال الدين وعبده محمـــد ، العروة الوثقى والثورة التحريرية الكبرى، تحقيق بطرس البستاني، دار العرب، القاهرة، ط3، 1993.

5- الأفغاني جمال الدين:الأعمال الكاملة، ت ح، محمـــد عمارة، ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1981.

6- أمين أحمد: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت، د ط، د س.

7- أمين عثمان: رائد الفكر المصري الإمام محمـــد عبده، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1996.

8- بدوي عبد الرحمن: الإمام محمـــد عبده والقضايا الإسلامية، د ط، 2005.

9- برقاوي أحمد: محاولة في قراءة عصر النهضة، الأهلية للطباعة والنشر، ط2، 1999.

10- بن باديس عبد الحميد ، مجالس التذكير من حديث البشير النذير، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1983.

11- بن صادق الجمال محمود: اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر (في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري)، ج1، ط1، ، دار عالم الكتب، المملكة العربية السعودية، 1994.

12- بن عبد الوهاب محمـــد: تعليم الصبيان التوحيد، دار الحرمين، القاهرة، د ط، د س.

13- البهي محمـــد: الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي، مطبعة مخيمر، القاهرة، 1957.

14- بوصفصاف عبد الكريم : الفكر العربي المعاصر، محمـــد عبده وعبد الحميد بن باديس نموذجا،ج1، دار مداد يونيفارسيتي، قسنطينة، 2009.

15- بيومي زكريا سليمان: التيارات السياسية والاجتماعية بين المجدين والمحافظين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1983.

16- التوبة غازي: الفكر الإسلامي المعاصر، دراسة وتقويم،ط4، 2004.

17- جدعان فهمي: أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العصر الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 3 ، 1988.

18- الجمال حمد بن صدق: اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر، في الصنف الأول من القرن الرابع عشر، ج1، دار عالم الكتب، ط1، 1994.

19- حسنين عبد النعيم: حقيقة جمال الدين الأفغاني، دار الوفاء، القاهرة، ط1، 1998.

20- الحوراني ألبرت: الفكر العربي في عصر النهضة 1798-1939،تر كريم عزقول دار النهار، بيروت، د ط، د س.

21- رافع الطهطاوي رفاعة: الأعمال الكاملة التمدن، الحضارة، العمران، ج1، ت ح محمـــد عمارة، دار الشرق، د ب، د ط، 2010.

22- رافع الطهطاوي رفاعة:الأعمال الكاملة، السياسة،و الوطنية،و التربية ، ج2، ت ح محمـــد عمارة، دار الشروق، د ب، د ط، 2010.

23- رشيد رضا محمـــد: تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمـــد عبده،ج1، دار الفضيلة، مصر، ط2، 2006.

24- زيدان جرجي: مشاهير الشرق، د ط، القاهرة، د س.

25- سعد الله أبو قاسم: تاريخ الجزائر الثقافي،دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، ج7، 1998.

26- السمان محمـــد: رشيد رضا ودعوة الشيخ محمـــد بن عبد الوهاب، مكتبة المعلا، ط1، 1988.

27- الشويخات أحمد وآخرون: الموسوعة العربية العالمية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2004.

28- صبري محمـــد: تاريخ مصر الحديث من محمـــد علي إلى اليوم، دار الكتاب المصرية، القاهرة، ط 1، 1926.

29- صبري مصطفى: موقف العقل والعلم من رب العالمين وعبادة المرسلين،دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1981.

30- عابد الجابري محمـــد ، الخطاب العربي المعاصر، دراسة تحليلية نقدية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،لبنان.

31- عبد المجيد حنان محمـــد:التغير الاجتماعي في الفكر الإسلامي الحديث، ط1، المعهد العامي للفكر الإسلامي، فرجينيا، و.م.الأمريكية، 2011.

32- عبد المقصود محمـــد فوزي: الفكر التربوي لمحمـــد عبده، مطبعة جامعة الفيوم، القاهرة، د ط، د س.

33- العقاد عباس محمود:عبقري الإصلاح محمـــد عبده، دار النهضة مصر، 1981.

34- العقاد محمود عباس ، عبد الرحمن الكواكبي، مؤسسة هنداوي، القاهرة، د ط، 2012.

35- عكاوي رحاب: أعلام الفكر العربي الإمام الشيخ محمـــد عبده في أخباره وأثاره، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، 2001.

36- عمارة محمـــد: الجامعة الإسلامية والفكرية القومية، دار الشروق ، القاهرة، ط1، 1994.

37- عمارة محمـــد: جمال الدين الأفغاني موقظ الشرق وفيلسوف الإسلام، دار الشروق، القاهرة، ط2، 1988.

38- عمارة محمـــد: عبد الرحمان الكواكبي شهيد الحرية ومجدد الإسلام، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1984.

39- غيلون برهان: الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطا، ط1، 1991،

40- فخري ماجد: تاريخ الفلسفة الإسلامية من القرن العشرين حتى يومنا هذا، دار المشرق، بيروت، ط2، 2000.

41- الفراتي السيد ، أم القرى، وهو ضبط مفاوضات ومقررات مؤتمر النهضة الإسلامية المنعقد في مكة المكرمة سنة 1316،المطبعة المصيرة بالأزهر،1350 – 1931

42- الفوزان صالح بن فوزان: من أعلام المجددين، الرئاسة العامة للبحوث، العلمية والاقتناء، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط3.

43- القرضاوي يوسف: فقه الأولويات دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة، د ن، الدوحة، د ط، 1994.

44- قلعجي قدري: ثلاثة من أعلام الحرية، جمال الدين الأفغاني،محمـــد عبده، سعد زغلول،دار الكاتب العربي، د ت.

45- الكواكبي عبد الرحمن: طبائع الاستبداد ومصارع الاستبعاد، ت ح محمـــد عمارة،، دار الشروق، القاهرة،ط2، 2009.

46- لمطوععبد الله ا: الدعوة الإصلاحية وأعلامها، ط1، 1420ه.

47- المباركفوري محمـــد عبد الرحمن: كتاب تحفة الأحوذي في شرح جامع الترمذي، ج6.

48- المحافظة علي: الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، 1798- 1914 دار الأهلية،بيروت،د ط ،1987.

49- ماجدة حمود: الكواكبي فارس النهضة والأدب، د ط، دمشق، 2001.

50- محمـــد إبراهيم مفيدة: عصر النهضة العربية بين الحقيقة والوهم، ط1، دار مجدلاوي للنشر، عمان، 1999.+

51- محمـــد حسنين محمـــد: الإسلام والحضارة الغربية،دار الفرقان، 1985.

52- محمود السروجي محمـــد: الفكر السياسي للإمام محمـــد عبده،الهيئة المصرية العامة لكتاب،1978.

53- محمود نجيب: تجديد الفكر العربي، دار الشروق، بيروت، لبنان، 1981.

54- الميلاد زكي :من التراث إلى الاجتهاد، الفكر الإسلامي وقضايا الإصلاح والتجديد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2004.

55- نعيم بلال: الفكر الإسلامي بين النهضة والتجديد، دار الهادي، بيروت، ط1، 2004.

الموسوعات:

3- التهناوي محمـــد علي: موسوعة كشاف إصلاحات الفنون والعلوم،تقديم رفيق العجم، مكتبة لبنان، ط1، ج2، 1996.

المعاجم

1- ابن منظور: لسان العرب،ج1، طبعة دار المعرفة، مصر، د ت.

2- ابن منظور: لسان العرب،ج7، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1999.

4- جميل صليبا: بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية،ج1، دار الكتاب اللبناني،لبنان، بيروت، 1982.

5- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، لبنان، بيروت، 1982.

- زقزوق محمـــد حمدي: موسوعة اسلامية عامة،المطابع التجارية، القاهرة، 2003.

7- عبده الحلو، معجم المصطلحات الفلسفية فرنسي – عربي، المركز التربوي للبحوث والإنماء، مكتبة لبنان، ط1، 1994.

8- وهبة مراد: المعجم الفلسفي، دار القباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، د ت.

القواميس والمجلات:

1- البقاعي يوسف محمـــد ، قاموس الطلاب عربي عربي، مراجعة وتدقيق شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، المادة أصدأ، 2001.

2- رشيد رضا محمـــد: مجلة المنار، المجلد الأول، ط2،

3- مجلة الشهاب: ج2، المطبعة الجزائرية الإسلامية بقسنطينة،نوفمبر 1935.

4-N.S DonichThe Oxford. English-Arabic Dictionary-1972, P1047

الرسائل الجامعية:

1- زيلوخة بوقرة : سوسيولوجيا الإصلاح الديني في الجزائر، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين – نموذجا – رسالة ماجيستر، جامعة باتنة، 2009.

المواقع الإلكترونية:

1- منتديات ومجالس أهدلي كوم.

2-https://archive.islamenline.net .

3-https://www.almaany.com .

فهرس المحتويات

شكر

إهداء

مقدمة ..... أ

الفصل الأول

كرونولوجيا المفاهيم و السياق التاريخي للإصلاح

I– المبحث الأول: مفهوم الإصلاح 7

1- مفهوم الإصلاح. 7

2- مفهوم الحركة الإصلاحية وأبرز مفاهيمها. 9

3- أسباب الحركة الإصلاحية وعواملها. 13

4- الإرهاصات الأولى للإصلاح محمـــد بن عبد الوهاب نموذجا. 16

II - المبحث الثاني: مشارب محمـــد عبده الفكرية والإصلاحية. 24

1- الإصلاح في فكر رفاعة رافع الطهطاوي (1801 – 1873). 24

2- الإصلاح في فكر جمال الدين الأفغاني (1838 – 1897). 27

3- الإصلاح في فكر عبد الرحمن الكواكبي (1855- 1902) 30

الفصل الثاني

المشروع الإصلاحي عند الشيخ محمـــد عبده

I- المبحث الأول: الإصلاح الديني والتربوي عند الشيخ محمـــد عبده. 36

1- منطلقات وتجليات الإصلاح الديني عند محمـــد عبده. 36

2- التجديد والتقليد عند محمـــد عبده. 40

3- الشيخ بين الأصالة والمعاصرة. 47

4- موقف الشيخ من نبوة الرسول صلى اله عليه وسلم 49

5- موقفه من التربية وأهميتها. 50

6- إصلاح جامع الأزهر. 55
7- معالجة الشيخ لقضايا المرأة. 59
II - المبحث الثاني: الإصلاح السياسي في فكر محمـــد عبده. 64
1- موقف الإمام محمـــد عبده من السياسة. 64
2- موقف محمـــد عبده من الثورة العرابية. 69
3- موقفه من الدولة العثمانية وفكرة الجامعة الإسلامية. 73
4- موقف الشيخ من الاحتلال البريطاني في مصر. 76

الفصل الثالث

قراءات تحليلية لمشروع محمـــد عبده

I- المبحث الأول: دراسة نقدية في مشروع محمـــد عبده. 80
1- نقد الإصلاح الديني. 80
2- نقد الإصلاح التربوي. 83
3- نقد الإصلاح السياسي. 85
II- المبحث الثاني: مشروع الإمام في ميزان التقييم. 88
1- محمـــد رشيد رضا. 88
2- محمـــد بن مصطفى بن الخوجة. 91
خاتمة 95
قائمة المصادر والمراجع 99
فهرس المحتويات
..... 106